جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

مظاهر العمران الاجتماعي في المعلقات

إعداد الطالبة

صفاء حسين البيايضة

بإشراف:

الدكتور ماهر المبيضين

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2010م

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة صفاء حسين البيايضه الموسومة بـــ:

مظاهر العمران الاجتماعي في المعلقات

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية**.

القسم: **اللغة العربية**.

	التوقيع	التاريخ	
د. ساهر احمد المبيضين		2010/08/02	مشرفاً ورئيسا
د. ابراهيم عبدالرحمن النعانعة		2010/08/02	عضواً
أ.د. شفيق محمد الرقب		2010/08/02	عضواً
د. احمد صالح الزعبي		2010/08/02	عضواً

عميد الدراسات العليا
أ.د. نضال صالح الحوامدة

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الإهداء

بعد أن منّ الله علي في إنجاز هذا العمل، فإنني أُهدي هذه الثمرة إلى:

والديّ الكريمين اللذين قدما لي كل نصح وفضل وإرشاد، ومنحاني كل حب وحنان، فجزاهما الله عني كل خير.

وإلى زوجي العزيز معاذ الذي تحمل معي مشاق العمل، ورافقني خطوة خطوة، وعانَّ معي صابراً ومشجعاً لي إلى أن اكتمل هذا العمل بفضل الله تعالى.

وإلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل حُباً ووفاءً.

صفاء البيايضة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشكر والتقدير

بعد الشكر لله عز وجل الذي منّ علي بإتمام هذا العمل، فإنني أتوجه بالشكر والعرفان للدكتور ماهر أحمد المبيضين المشرف على هذه الرسالة، والذي تـــابعني خطوة بخطوة، وأعطاني من وقته الكثير نصحاً وإرشاداً وتوجيهاً، وأمدني بمعلومات قيمة أثرت هذا العمل، فجزاه الله عنّي كلّ خير.

ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل من الأساتذة الأجلاء أعضاء لجنـــة المناقشة الأستاذ الدكتور شفيق الرقب، والدكتور إبراهيم النعانعة، والـــدكتور أحمـــد الزعبي، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة ووضعهم الملحوظات القيمة التـــي من خلالها سأقِّوم ما اعوج فيها بإذن الله تعالى.

صفاء البيايضة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قائمة المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء.....	أ
شكر وتقدير.....	ب
قائمة المحتويات.....	ج
الملخص باللغة العربية.....	و
الملخص باللغة الإنجليزية	ز
المقدمة	1
تمهيد	3
الفصل الأول:مظاهر الحياة القبلية	
1.1 الفخر بالقبيلة.....	10
2.1 طبيعة الحياة القبلية	13
3.1 سيد القبيلة	14
4.1 أهمية النسب في القبيلة	15
5.1 الأحلاف القبلية	17
6.1 العصبية القبلية	18
7.1 أيام العرب	21
8.1 الديانة.....	22
9.1 أحداث تاريخية	23
10.1 التنقل والترحال	24
11.1 الناقة والفرس	26
12.1الصيد	27
13.1 الماء والسيل والمطر	28
14.1 الألعاب القبلية	30
الفصل الثاني: مظاهر الحضارة في شعر المعلقات	
1.2الأطلال	33
2.2 الخمر	35

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

3.2 الأسلحة وأدوات القتال 38
4.2 العطور 40
5.2 أدوات موسيقية 41
6.2 الملابس 41
7.2 المساكن 43
8.2 أدوات الكتابة 45
9.2 الإنارة 46
10.2 السفن 47
11.2أدوت الطعام والشراب 47
12.2مظاهر حضارية مختلفة 48
الفصل الثالث: الذوق الجمالي في شعر الملعقات .....
1.3 صورة المرأة في شعر المعلقات (المرأة) 53
2.3 وصف المرأة 54
3.3 أوصاف معنوية 60
4.3 المرأة ولباسها وزينتها 61
5.3 الحلي 62
6.3 الطيب 64
1.6.3 المسك 64
2.6.3 الزنبق 65
7.3 الوشم 66
8.3 مراكب النساء وخدورها 66
9.3 المرأة القيّنة 68
الفصل الرابع: مظاهر القيم والمثل العليا .....
1.4 الكرم 73
2.4 الشجاعة والفروسية 76
3.4 العفة 80
4.4 رفض الذل وإباء الضيم 81
5.4 الوفاء 84
6.4 الحلم 87
7.4 الدعوة إلى السلم (فك الصراع) 88

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

8.4 الحكمة 90
الخاتمة **96**
المراجع 98

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الملخص

مظاهر العمران الاجتماعي في شعر المعلقات

صفاء حسين البيايضة

جامعة مؤتة،2010

تتناول هذه الدراسة ظاهرة العمران الاجتماعي في شعر المعلقات، انطلاقاً من أن المعلقات كانت وليدة الحياة الجاهلية، بكل جوانبها، وتسعى هذه الدراسة أيضاً إلى إبراز مظاهر العمران الاجتماعي كما صورتها المعلقات بمختلف صورها في ضوء دراسة متأنية للنماذج الشعرية التي أبرزت مثل هذه الجوانب، حيث تم استخلاص صور الحياة القبلية بكل تفاصيلها، وكذلك صور الحضارة العربية في ذلك العصر من خلال الحديث عن بعض الصناعات والحرف وغير ذلك.

وتمت دراسة مظاهر الذوق الجمالي في شعر المعلقات، وبخاصة ما يتعلق بالمرأة وجمالها وزينتها، ثم درست القيم والمثل العليا في الشعر نفسه، وهي القيم التي تمسك بها العربي في ذلك العصر.

وكشفت هذه الدراسة عن جملة من النتائج منها، أن المعلقات كانت وليدة الحياة الجاهلية التي ارتبطت بدوافع نظمها عند الشعراء، كما كشفت الدراسة عن أن المعلقات تضمنت تصوراً كاملاً لمظاهر العمران، الاجتماعي بكل تفاصيله، حيث صور الشعراء جوانب تلك الحياة التي عاشها العرب آنذاك.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

Abstract
Summary of the manifest of social growth in Mo'allaqat poetry
Safa'a Hussen AL-Byaydeh
Mutah University,2010

This study contains a manifest of social growth in Mo'allaqat poetry starting from the Mo'allaqat used in the Jahiliyya days in every side, which lead this study to show the manifest of social growth, which is exactly how other Mo'allaqat pictured it with its different pictures in the study of the poetic models, which have shown these ideas. In addition to that, pictures of the tribal life with all of its details were taken with the pictures if the Arabic Modernity during that time by talking about some of the letters, discovered things that was made …etc.

There were also studies on the beauty taste in attached poetry in which it is attached to the women and its beauty. After that, I studied the price and the high standards in the poetry itself, which was held and practiced by Arabs during the old days.

This study also discovered a lot of results; firstly, the Mo'allaqat was used during the old Jahilliyya days. I was hanged by the tones that came out of this poetry. The study also discovered that the Mo'allaqat made a full picture of the social growth with all its details, where poets pictured the sides of that life.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المقدمة

تعد المعلقات ظاهرة فريدة من ظواهر الشعر الجاهلي، وقد استرعت اهتمام الدارسين قديماً وحديثاً، وكانت محوراً لدراسات عدة، وذلك لأن شعر المعلقات صورة لمظاهر الحياة الجاهلية بكل ما فيها، ومن هنا فإن هدف الباحثة من هذه الدراسة يتمثل في استجلاء صورة الحياة العربية في العصر الجاهلي.

ولم أجد في حدود اطلاعي دراسة تناولت صور الحياة العربية في العصر الجاهلي نت خلال شعر المعلقات، لذا فإنَ هذه الدراسة تهدف إلى تحليل مظاهر العمران الاجتماعيَ في هذه القصائد الطّوال ويقصد بالعمران الاجتماعي الجوانب الحضارية ، والقبلية، والقيم والمثل العليا، والذوق الجمالي.

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول ومقدمة، وخاتمة، تناول التمهيد معلومات مختصرة إلى حد ما عن المعلقات من حيث سبب التسمية وعددها وأصحابها، وكذلك تناولت الباحثة في هذا الجزء دوافع نظم المعلقات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة العرب في العصر الجاهلي.

أما الفصل الأول فقد تناول مظاهر الحياة القبلية في شعر المعلقات من حيث الفخر بالقبيلة، وطبيعة الحياة القبلية بما فيها من ترحال وانتقال بحثاً عن الكلأ والماء، وصفات زعيم القبيلة، وواجباته، وأهمية النسب والاعتزاز به، وأهمية الأحلاف بين القبائل، والعصبية القبلية وتعميقها في نفسية الجاهلي بسبب ظروف الصحراء من حوله، وبعض أيام العرب وديانتهم.

أما الفصل الثاني فقد تناول مظاهر الحضارة في شعر المعلقات، فأبرزت المعلقات عدداً من مظاهر الحضارة في الحياة الجاهلية، التي تبدو في الأطلال، ومجالس الخمر، وكذلك صناعة بعض الأدوات الحربية وصناعة العطور والملابس، وأدوات الموسيقى وطبيعة المساكن من خيام وأطام، وحصون، وأدوات الكتابة واستخدامها، ومعرفة طرق الإنارة، وكذلك بعض أدوات الطعام والشراب وغيرها من مظاهر حضارية مختلفة شهدتها البيئة الجاهلية.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما الفصل الثالث فقد تناول الذوق الجمالي في المعلقات، ما يتعلق بالمرأة ومن أدوات زينة وحلي وملابس، ووصف لمحاسنها الجسدية والخلقية وصورة المرأة القيّنة ودورها ومكانتها، ومدى اهتمام الشعراء بوصفها.

أما الفصل الرابع فقد تناول القيم والمثل العليا في شعر المعلقات، فقد حفل هذا الشعر بعدد من المثل والأخلاق التي افتخر بها شعراء المعلقات وغيرهم من شعراء العصر الجاهلي، حيث دُرِست قيم الكرم، والشجاعة والفروسية، والوفاء، والحلم، وغير ذلك.

وتمثل منهج الدراسة في قراءة شعر المعلقات وفق رؤية تكاملية واستقصائية وتحليلية لهذا الشعر لاستجلاء مظاهر العمران الاجتماعي، ولهذا افادت الدراسة من مناهج متعددة ولعل أهمها المنهج الاجتماعي الذي من خلاله تم تسليط الضوء على طبيعة الحياة الجاهلية بكل تفاصيلها كما مثلها شعر المعلقات، وكذلك أفادت من المنهج التاريخي في الكشف عن الأحداث التاريخية التي وردت في شعرهم، ولها علاقة بمظاهر العمران الاجتماعي.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع أبرزها دووايـن شعراء المعلقات، وشرح المعلقات العشر للخطيب التبريزي، وكتاب معلقات العرب لبدوي طبانه، والشعر وأيام العرب لعفيف عبدالرحمن، والغزل في الشعر الجاهلي لأحمد الحوفي، وغيرها، ولم تواجه الباحثة صعوبات باستثناء ما يتعلق بصعوبة الحصول على بعض الدووين المحققه تحقيقاً علمياً مقبولاً.

وأخيراً أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما قدمت من جهد .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تمهيد

تعد المعلقات ظاهرة من الظواهر الأدبية في تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وحتى عصرنا الحاضر، حيث لم يحظ شعر بعناية القدامى والمحدثين كما حظيت المعلقات، وكذلك لم يُختلف في شعر كما اختلف فيها القدامى والمحدثون، من حيث عددها وأصحابها وسبب تسميتها بالمعلقات، فضلاً عن كونها تشكل ديواناً وسجلاً ودستوراً لحياة العرب في ذلك الوقت بمختلف شؤونهم وجوانب عيشهم.

والمعلقات هي قصائد طوال لشعراء جاهليين تسمى أحياناً المذهبات، أو القصائد السبع الطوال، وقد اختلف في سبب تسميتها بالمعلقات[1]، فقد أورد ابن عبد ربه في العقد ما نصه: "وقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفصيلها له أن عمدت إلى قصائد تجرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقها بأستار الكعبة، فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير والمذهبات سبع يقال لها الطوال"[2]، وقد أيده من المحدثين ناصر الدين الأسد، وخالفه شوقي ضيف، الذي ينظر إلى خبر تعليقها على أنه أشبه بالأسطورة، وأنها سميت بذلك لنفاستها أخذاً بمعنى العلق النفيس.[3]

وترى الباحثة أن رأي شوقي ضيف هو الأقرب إلى الحقيقة من خبر التعليق على الكعبة الذي شاع في عدد من كتب الأدب، ومع ذلك يبقى لكل باحثٍ رأيه وأدلته التي يقتنع بها.

ولعل من أهم ما يقدح في خبر تعليق هذه القصائد على جدران الكعبة، خلو مصادر القرون الأربعة بعد الإسلام منه، وظهوره متأخراً في المصادر التالية فضلاً عن خلو أخبار فتح مكة من أخبار هذه القصائد، ولو كانت معلقة على جدران الكعبة إبان الفتح لورد ذكرها.[4]

---

[1] - نبوي، عبدالعزيز، دراسات في الأدب الجاهلي، المختار للنشر، القاهرة، 2002، ص 59.

[2] - ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت 328)، العقد الفريد، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، ج6، 1989، ص 125.

[3] - ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 9، ص 34.

[4] - نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص60.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويمكن القول إن المعلقات كانت وليدة الحياة الجاهلية للعرب آنذاك بمختلف جوانبها وتفاصيلها، ناهيك عن أنها جاءت أيضاً معبرة عن معاناة الشعراء بمختلف ظروفهم أينما عاشوا وحلوا أو ارتحلو، ولهذا كله تعد تلك القصائد شاهدة على إبداع أصحابها من الشعراء الذين وجدوا في الشعر ملاذاً يعبرون فيه عن حياتهم وظروفهم الخاصة، وحياة قبائلهم على وجه العموم، وقد تمثل الإبداع فيها بما حوته من ملامح بلاغية وأسلوبية مؤثرة ومعبرة في الوقت نفسه عن مشاعرهم الإنسانية، بمعنى أن علاقة المعلقات بالحياة الجاهلية وتعبيرها عن حياة العربي في ذلك العصر أسهم في إبداع الشعراء وتصويرهم لواقعهم وواقع حياتهم العربية عن طريق هذا الشعر.

ومما يدل على إبداع هؤلاء وتفوقهم أن معلقاتهم كانت "ثمرة هذا الشعر، أجلها العرب، إذ سحرتهم بلاغتها، وذهلتهم صورها، فتناقلتها القيعان والتلاع، ورددتها حناجر المغنين، وخلدها الزمان فهي معين كل ظامئ، وقصد كل تائه"[1].

فالناظر في هذا الشعر يدرك ما تضمنه من صور ورموز وأخيلة مستمدة من واقع الشعراء وبيئتهم، فكل ما فيه من سمات فنية يكشف عن أثر الحياة العربية في شعر الشعراء، فجعلتهم يبدعون في تصويرها على هذا النحو، فالشاعر الجاهلي في المعلقة وبتوظيفه للصورة والأخيلة كشف عن تصوره لجزيئات الحياة والوجود مستنداً في ذلك على ما ورثه من فكر ورؤيا ثاقبة للأشياء.

وللمعلقات روايات مختلفة أقدمها رواية حماد الراوية وهي عنده سبع قصائد، وقد شرحها الزوزني ت (486هـ) وأصحابها هم (امرؤ القيس، وطرفة ابن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة ابن شداد، والحارث بن حلزة).

أما القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب فيشير إلى أنها سبع، غير أنه أسقط معلقتين من رواية حماد الراوية أو رواية الزوزني وهما معلقتا الحارث ابن حلزة

[1] - الزوزني، أحمد بن أحمد الحسين، شرح المعلقات السبع، ، دار الإيمان، دمشق، ط1، 1994، ص 5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وعنترة بن شداد مثبتاً مكانهما معلقتي الأعشى والنابغة، أما رواية التبريزي (ت 505) فهي عشر حيث أضاف معلقة عبيد بن الأبرص[1].

ويمكن أن نلحظ أن أغلب الروايات اتفقت على أنها سبع معلقات وأصحابها هم: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، وعمرو بن كلثوم، ولبيد بن ربيعة، والحارث بن حلزة، وعنترة بن شداد.

والناظر في شعر المعلقات يستطيع أن يلحظ أثر البيئة العربية فيها سواء من الناحية الطبيعية من صحارى وجبال وسهول ومن بادية وحاضرة وحيوان، أومن الناحية الأخلاقية من كرم الأخلاق والعادات السائدة في هذا الشعر، وعادات وأعراف اجتماعية، أو ما له علاقة بمظاهر الحياة العربية كلها.

فالشعر الجاهلي بعامه وشعر المعلقات بخاصة حافل بمظاهر الطبيعة الجاهلية المختلفة، وقد كان لهذه المظاهر المتنوعة أثرها البارز في لغة ذلك الشعر ومعانيه وأسلوبه، فعندما كان الشاعر يتحدث في معلقته عن الحيوان أو المكان أو النبات فإنه وظّف هذه الموجودات خير توظيف، وعبر عنها تعبيراً لافتاً مستغلاً جمال التصوير والتشبيه.

لقد نشأ شعراء المعلقات في هذه البيئة بكل ما فيها من قفار موحشة، وأطلال بالية وحيوانات ونباتات، وكل منها كان له أثره البالغ في شعرهم، فتراهم وقفوا على الأطلال ووصفوا الصحراء الواسعة والحيوانات والنباتات وغيره، فجاء شعرهم صورة تعكس تلك البيئة بكل ما فيها.

فقد: "فرضت البداوة على الشاعر التنقل من بقعة إلى بقعة مع قومه الباحثين عن الماء والعشب، فإذا القصيدة رحلة فكرية ذات مراحل ينتقل فيها الشاعر بين آفاق الأفكار يبدأ ببكاء الأطلال ويمضي فيها إلى صفة الطريق الذي يجوبه، والرفيق الذي يصحبه، فإذا مرّ برسم المحبوبة وقف بين يديه خاشعاً خشوع العابد في محرابه، يتغنى بمرابع الصّبا ومفاتن الحبيبه، ثم يمضي لطيته، فإذا هو ووحش الصحراء رفقه فينعت ناقته، ويقارنها بما يرى من حمر الوحش والظباء ثم يفخر بنفسه وبقومه تباهياً بمحامدهم، مباهياً بأيامهم التي ظهروا فيها على الأعداء باكياً

[1] - نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص 60-61.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قتلاهم الذين قضوا في الدفاع عن العِرض، وهو راضٍ بهذا التنوع في الموضوعات، والناس عنه راضون كأنهم مجمعون على أن البدواة تعني الترحّل وأن الترحّل يجب أن يظهر في الأدب ظهوره في الحياة".[1]

ولقد صورت تلك المعلقات ذلك الجنس العربي الذي سكن الجزيرة قبل الإسلام، تصويراً يتسم بسمات الصدق والصراحة، وهي الصفات التي كان العرب يحرصون عليها في حياتهم الخاصة، وفي حياتهم العامة التي كانوا يتصفون فيها عن غيرهم من القبائل أو الأمم الغريبة عنهم، فإن أولئك القوم، إن عاشوا أفراداً أو جماعات كانوا أقرب للطبيعة وكانوا على وفاق مع تلك الطبيعة، ولذلك وصف شعرهم هذه الطبيعة، ولذلك وصفها شعرهم بكل ما فيها من أسباب الرغد، وظواهر الخشونة والشظف ولذلك وصف ذلك الشعر بالصدق.[2]

ولعل هذا الأمر يدعو إلى القول إن هذه المعلقات تشكل في حقيقتها ديواناً وسجلاً حافلاً لحياة العرب آنذاك، فهي مصدر وثيق الصلة بتلك الحياة بظروفها وبيئتها وحيوانها، وكذلك يمكن القول إنها تعد تراثاً يعتمده الباحثون في معرفة حقيقة ذلك العصر بما فيه الإنسان والمكان والحيوان، وقد يُلمح ذلك في ضوء دراسة مناسبة كل معلقة من هذه المعلقات واستقراء أبياتها ودراستها دراسة متأنية، حيث تتضمن أبياتها بما تحويه من رموز وصور وأخيلة ذلك الزمان بكل ما يشتمل عليه من مكونات الحياة العربية.

:"ولما كانت الحياة في الصحراء تلصق الإنسان بالطبيعة بلا جدار يدفع الريح، ولا سقف يقي من الشمس والمطر، فقد أحس العربي تقلب الأنواء إحساساً حاداً إذا صفعه الرعد العاصف، واقتلعه السيل الجارف، وداعبته النسمة اللعوب وظلله الدوح الوارف، وحملته النخلة السامقة، ووخزة الشوك النافذ، فجاء وصفه للطبيعة حسياً، رقيق التصوير، جلي القسمات ووليد مشاعره ومعاشره"[3]، وهذا أيضاً لم تغفله المعلقات، لأن فيه معاناة الشعراء وتصوير مشاعرهم.

---

[1] ـ طليمات، غازي، والأشقر، عارف، الأدب الجاهلي،دار الفكر، دمشق، 2010، ص 37.
[2] ـ طبانه، بدوي، معلقات العرب، دار المريخ، الرياض، 1984، ص167.
[3] ـ ظليمات، والأشقر، الأدب الجاهلي، ص 37.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وليس من العمران في البادية إلا الخيام المنصوبة يطـوف حولهـا ويتغنـى سكانها يدور بها نؤي (كجذم الحوض لم يتثلم) يحول دون تدفق المطر، أمامه موقـد نار وكية ماء تطلع الشمس فتنشر أشعتها على كل مكان لا يعترض طريقها حـائط يحيط ولا بناء مبنى، ويهطل المطر فتلقاهُ الأرض بأجمعها تبتلـع منـه مـا تـشاء وتستقي ما تشاء، لا يستوقفه حاجز، ولا يجير به أنبوب، ولا تصرّمه قناة، تنـصب الخيام ووتقلع إلى حيث يجدون موطناً جديداً، ينتجعون فيه الماء والكلأ. وما وجـود بعض القرى في الشمال كمكة، ويثرب والطائف بخليق أن ينفى قطر الفضاء الأوسع من اللاعمران.[1]

فهذه طبيعة الحياة العربية في ذلك العصر وطريقـة حيـاتهم، إلا أن هنـاك بعض البيئات التي عرفت التحضر والاستقرار، كتلك التي ظهر فيهـا جانـب مـن العمران الذي فرضته عليهم طبيعة المكان.

إن الصحراء التي فرضت على العرب الترحل، فرضت عليهم العـيش فـي المجتمع القبلي بوجهه الاجتماعي والسياسي، ثم فرضت على أدبهـم سـمات هـذا المجتمع، وقد ترك هذا النظام القبلي أثره في الشعر، إذ دفع الشعراء إلـى تـسعير الخصومة بين القبائل، وخصت القصص والأمثال بتمجيد البطولة، وجهـر كـل ذي لسن وبيان بالدعوة إلى الثأر، حتى ضج أدب الجاهليين بقعقعة السيوف وتفجرت فيه صيحات المغامرة والمنافرة، وزخرت بفيض من المعاني والصور الحماسية وضـم بين جنبيه تاريخاً غير رسمي يقيس فيه الأحفاد نخوة الأجـداد، ويتعهـده الـشعراء بالتجديد كلما رثّ، وبالاحترام كلّما خبا، إذ ينفخون فيـه رفـع الحميـة ويـؤثرون الغضب الأرعن على الحكمة والرّزانة، ولم يكن النظام القبلي الشكل السياسي وحده، فقد شهدت إمارات العرب، إمارات صغيرة كإمارتي الغساسنة والمناذرة على تخوم الروم والفرس، وفي هاتين الإمارتين لقي شعراء القبائل منتجعاً يقـصدونه وسـوقاً تروج فيه بضاعتهم، ومستبقاً يتنافس فيه الفحول من شعراء الـصحراء، كالنابغـة

[1] - البستاني، بطرس، الشعر الجاهلي، مطابع مصر العدل الجديدة، 1981، ص 25.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والأعشى، فلا يكاد الفحل فيهم يجري فيه غلوة أو غلوتين حتى يخلع لأمة الحرب، ويستلين خلع الأمراء.[1]

ولما كان الشاعر جزءاً لا يتجزأ من منظومة القبيلة فإنه كان حريصاً على كل ما له علاقة بقبيلته، وبخاصة فيما يتعلق بأيامها وحروبها، كما يظهر ذلك في عدد لا بأس به من المعلقات.

والانسان الجاهلي لا يبتعد انتبار في المعنى أحياناً، لا يبتعد مجتمعه أبعد من قبيلته، يتعصب لها ما دام يرى في ذلك خيراً ونفعاً له، كعصبية عمرو بن كلثوم لبني تغلب، وعصبية ابن حلزة لبكر، ويتخلى عنها وينكرها إذا لحق به أي ضيم، كما فعل النابغة وطرفة، لا يفهم معنى للوحدة القومية ولا يحن أن يجتمع أمة واحدة، فتشعره متصلاً بقبيلته يدافع عنها ويفاخر بالأمة العربية، لأن حياته الاجتماعية وطنه لم تزل على نظرتها الأولى، لا تتعدى الأسرة والعشيرة، في ترحل لا يستقر يحمل وطنه على ظهر بعيره كما يحمل أمتعته، فكل مكان له منزل وفي كل منزل حنين وذكريات وتحيات للرسوم والأطلال.[2]

ولقد أثرت الحياة الجاهلية بظروفها المختلفة بالأدب فقد جعلت أمثاله، وقصصه، وشعره، والمعاني المتعلقة بالخصب والجدب والري، والجفاف والصيد والطرد والجواد والجمل، حتى أصبحت الناقة تنافس المرأة في مكانتها من قلب الشاعر وفي حظها من تصويره.[3]

وصورت المعلقات الحياة الجاهلية بكل ما فيها من حيوان، ونبات، وأمطار، وسيول، وجبال ووديان، وحياة الرعي والترحال من مكان إلى مكان الأطلال البالية، ووصف رحلة التنقل، والمرأة، والحياة القبلية، هذا كله يدل على إبداع الشعراء في القصائد بما فيها من معانٍ يصف ما سبق جميعه.

ومعاني المعلقات بسيطة تعود للحياة البسيطة التي عاشوا فيها، فكانت مرآة انعكست عليها مظاهر الحياة الجاهلية، فظهرّت هضابها وجبالها ووديانها وعيونها، وصور سمائها ونجومها وسحبها وأمطارها وأنواع نباتها وصنوف حيوانها، وحياة

---

[1] ـ طليمات،والاشقر، الأدب الجاهلي، ، ص 38-39.
[2] ـ البستاني، الشعر الجاهلي، ص 21.
[3] ـ طليمات، والاشقر، الأدب الجاهلي، ص 40.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الحروب التي خاضوها بخيلها وسيوفها ورماحها ودمائها، ولم يخرج ذلك الشعر عن تلك المقاصد التي قصدوا إليها والمشاهد التي وقعت عيونهم عليها، كما أعربوا عن عواطفهم، وانفعالاتهم وغيره من شعور اللذة والألم، والرضا والسخط والحب والبعض، لذلك كان هذا الشعر واقعياً عبر عن الحقيقة أصدق تعبير، وقد خلا هذا الشعر من المبالغات الممقوته، والدعاوي الباطلة، ولم يصف إلا ما رآه ولم يتفاعل الى بما عرفه، ولم يؤلف صور الخيال إلا من مجموع ما عرف، مع البعد عن الإسراف الذي تلحظه في أشعار المتأخرين الذين عاشوا عصور الحضارة.[1]

[1] - طبانه، معلقات العرب، ص 322.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الأول

مظاهر الحياة القبلية

تعد القبيلة الوحدة الاجتماعية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض في المجتمع الجاهلي، ولذلك كان لهذه الوحدة الاجتماعية أهمية كبرى في تكوين نظام اجتماعي له أبعاده السياسية والفكرية والإقتصادية.

ويؤمن أفراد القبيلة بوجود رابطة تجمعهم تقوم على أساس وحدة الدم المتمثلة في انتمائهم لأب واحد ووحدة الجماعة، وهذه المجموعة تعمل في اتجاه واحد، هو مصلحة القبيلة المشتركة، فهي وحدة سياسية قائمة بذاتها في العصر الجاهلي، كما أنها وحدة اجتماعية أيضاً لها نظمها وأعرافها وتقاليدها.[1]

ولذلك بلغت القبيلة في العصر الجاهلي بأبعادها المختلفة مكانة مرموقة في القصيدة الجاهلية عامة والمعلقات خاصة، حيث كانت حافزاً للشعراء يتحدثون عن مجدها وقوتها، وما يتمتع به الزعماء من قوة وشجاعة ونبل أخلاق ومكانة رفيعة، حيث كان لكل قبيلة شعراؤها الذي يفخرون بها ويدافعون عنها بلغة الخطاب الشعري، تلك اللغة المؤثرة في نفوس الناس.

ولقد تعددت صور الحياة القبلية في المعلقات، من الفخر بها والعصبية لها، وذكر لأيامها وحروبها، والإنتقال إلى مواطن الكلأ والماء، وحال الديار بعد الرحيل، يمكن تمثل ذلك في ضوء دراسة الجزئيات الآتية:

1.1الفخر بالقبيلة

شغلت القبيلة الشاعر الجاهلي حيث جاء الفخر بها من أهم الأمور التي جعلته يقول الشعر أحياناً، ولهذا السبب كانت القبيلة تقيم الولائم والاحتفالات عند نبوغ شاعر فيها.

ومن صور الفخر بالقبيلة، الفخر بجنسها ووحدتها في نفوس أبنائها، فقد آمنوا أنهم أبناء جنس ممتاز، لا تفضلهم قبيلة أخرى، آباؤهم أشرف آباء، وأمهاتهم أكرم

[1] ـ عبدالرحمن، عفيف، الشعر وأيام العرب ـ الفخر العربي، بيروت د.ط، د.ت، ص 18.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أمهات، وهم أجدر الناس بأن يكونوا خير الناس على نحو فخر عمرو بن كلثوم بقبيلة تغلب [1]

حُـدَيَّا النَّـاسِ كُلِّهِمُ جَمِيْعـاً مُقَـارَعَةً بَنِيْـهِمْ عَـنْ بَنِيْنَـا[2]

وفي معلقته عدد الشاعر مفاخر قومه التغلبيين، ودافع عن حقوقهم ورد مزاعم أعدائهم، فعظمها بنو تغلب، وروتها صغارهم وكبارهم[3]، والمعاني التي تضمنها فخر عمرو بن كلثوم تكاد تكون واحدة، حيث تمثلت في الفروسية وما ينجم عنها من خوض المعارك وقهر الأعداء وإباء الخضوع للملوك وحماية الظعائن وإرث المجد والسيادة كابراً عن كابر، وبالتالي فقبيلته أعظم القبائل، وأعزها، بل هي في رأيه أعز من في الدنيا جميعاً، وقد استعرض الشاعر عزة قومه وشجاعتهم[4]، حيث يقول: [5]

أَبَا هِنْـدٍ فَلاَ تَعْجَـلْ عَلَيْنَـا وَأَنْظِـرْنَا نُخَبِّـرْكَ اليَقِيْنَـا
بِأَنَّا نُـوْرِدُ الـرَّايَاتِ بِيْضـاً وَنُصْـدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رُوِيْنَـا
وَأَيَّـامٍ لَنَـا غُـرٍّ طِـوَالٍ عَصَيْنَـا المَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِيْنَـا
وَسَيِّـدِ مَعْشَـرٍ قَدْ تَوَّجُـوْهُ بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِيْنَـا
تَرَكْـنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْـهِ مُقَلَّـدَةً أَعِنَّتَـهَـا صُفُـوْنَـا

وتعد معلقة عمرو بن كلثوم من أبرز المعلقات التي يظهر فيها الفخر بالقبيلة بشكل كبير، ويبدو أن مرد ذلك أنها قيلت لهذا الغرض وتصوير حرب البسوس التي دارت بين قبيلة تغلب وقبيلة بكر واستمرت أربعين عاماً.

ومن صور الفخر القبلي قول الحارث بن حلزة في قبيلة بكر رداً على عمرو بن كلثوم، فمعلقته زاخرة بصور الفخر القبلي ومنها:[6]

إِنَّ إِخْوَانَنَـا الأَرَاقِمَ يَغْلُـو نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِـمْ إِحْفَـاءُ

---

[1] ـ النعيمي،القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 86.
[2] ـ عمرو بن كلثوم: الديوان، اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1991، ص77.
[3] ـ عمرو بن كلثوم :الديوان، المصدر نفسه، ص 17.
[4] ـ العتوم، علي حسين، المعلقات العشر، رسائل دار المصطفى للنشر، 1980، ص 272.
[5] ـ عمرو بن كلثوم: الديوان، ص 71-72.
[6] ـ الحارث بن حلزة، (ت580هـ) ديوان شعر الحارث، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت،1973، ص 23.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْـ ـبِ وَلا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلاءُ
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْـ ـرَ مُوَالٍ لَنَا وَأَنَّا الوَلاءُ

وفي معلقة لبيد بن ربيعة صورة أخرى من الفخر القبلي حيث كان سفير قومه لدى الملوك الذين اجتمعت عندهم وفود القبائل من شتى الجهات، وكانوا يتناذرون بالثارات كأنهم الجن في مقاضياتهم لبعضهم بعضاً، وفي هذه المقامة يتطلع فيها الجميع للتبرير ويخشون الإخفاق، ردَّ الشاعر على كل من حاول أن ينتقص قومه وفخره بهم على الجميع، ومن دعاوي المبطلين فقبيلته أكرم القبائل[1] يقول: [2]

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٍ تُرْجَى العطايا وَيُخْشَى ذَامُهَا
غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالذُّخُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيَاً أَقْدَامُهَا
أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا

ويكثر الأعشى من الفخر بقبيلته، وهو يجمع لها ضروب المفاخر والمناقب، التي كانوا يفخرون بها في الجاهلية من الجود في الجدب، والشجاعة في الحرب، والرعي في المكان المخوف، وإغاثة المستصرخ[3]، ويبدو فخره كذلك حول انتصاراتهم في المعارك على القبائل التي حاربوها كبني أسد وبني قشير وبني عبدالله، ويعرض هذه الانتصارات الشاهدة على فضل قبيلته بني قيس بن ثعلبة وبني أسد الذين ابتدوا بالعدوان[4]، يقول: [5]

سائلْ بني أسَدٍ عَنّا فقد علمـ ـوا أن سوفَ يأتيكَ من أنبائنا شَكَلُ
واسأل قشيراً و عبدَالله كلُّهمُ واسأل ربيعةَ عنّا كيفَ نفتعلُ
إنا نقاتلهم ثمّتَ نُقتَّلهم عند اللقاءِ وان جاروا وان جهلوا
نحنَ الفَوارسُ يومَ الحِنْوِ ضاحيةً جنبي فُطيمةَ لا ميلٌ ولا عُزُلُ
قالوا الطرادُ فقلنا تلكَ عادتُنا أو تنزلونَ فإنّا معشرٌ نزلُ

---

[1] - العتوم، المعلقات العشر، ص 293.
[2] - لبيد بن ربيعة العامري، (ت41هـ)، الديوان، شرح وتحقيق، إحسان عباس، التراث العربي، الكويت، ط2، 1962، ص 317-318.
[3] - ضيف، العصر الجاهلي، ص 352.
[4] - العتوم، المعلقات العشر، ص 291.
[5] - الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس، (ت7هـ): الديوان، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1950، ص 134.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قد نخضبُ العيرَ في مكنونِ فَائِلِه و قد يشيطُ على أرماحنا البطلُ

2.1 طبيعة الحياة القبلية:

أسهمت طبيعة الصحراء وما فيها من قسوة وجدب في تكوين القبيلة التي تبحث عن الاستقرار والأرض، ويقول عفيف عبدالرحمن في ذلك "إذا استثنينا تلك المجتمعات المستقرة التي توفرت لها أسباب العيش، كدولتي المناذرة والغساسنة ومجتمع المدينة وقريش وثقيف، فإن المجتمعات التي عاشت في الجزيرة العربية، عاشت حياة قبلية لم تنعم إلا ببعض الإستقرار دأبها التنقل سعياً وراء الكلأ والماء، والأسباب التي دعت إلى تكوين القبيلة، وإلى أن تكون الوحدة الاجتماعية في ذلك العصر يمكن ردها إلى اضطراب الحياة المادية وعدم استقرارها وإلى عدم قيام حكومة تحفظ للناس أرواحهم وممتلكاتهم وتطعم الجائع وتغيث المنكوب، والى قسوة الحياة في تلك الصحراء المترامية الأطراف وتعد نمطاً ملائماً لمقتضيات البيئة الصحراوية"[1].

ولعل ظروف الصحراء وما يحيط بها من ظلمة ووحشة وجدب جعلت الإنسان الجاهلي يفكر بالعيش بنظام جماعات وتكوين القبائل لمواجهة هذه الظروف.

والقبيلة هي الأسرة الكبرى في المجتمع الجاهلي، وتكاد تكون اللبنة الأولى في بنائه، وذلك لأن انتماء الأفراد إلى قبائلهم أكثر من انتمائهم إلى أسرهم، فالمجتمع الجاهلي، مجتمع قبلي بالدرجة الأولى، ويتكون هذا المجتمع من عدة قبائل لا تشكل كتلة واحدة وذلك لضعف الروابط بينها بين الحين والأخر، ولذا كانت كل قبيلة تشكل كياناً مستقلاً وكأنها دولة قائمة بذاتها، وعلى رأسها أحد من أبنائها ممن يتصف بأسمى صفات المروءة، هو شيخ القبيلة، وتحت تصرفه جميع أفرادها ممن يحمل السلاح وهم فرسانها وحماتها، وكان لكل قبيلة موطن تمارس فيه سلطاتها، تسميه الحمى، وتدافع عنه بكل ما أوتيت به من قوة.[2]

---

[1] - عبدالرحمن، الشعر أيام العرب، ص 17-18.

[2] - العتوم ، علي حسين، الشعر الجاهلي والحياة العربية، مجلة البلقاء، العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد (9)، عدد 1، 2002، ص 22.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

3.1 سيد القبيلة:

وسيد القبيلة له حقوق وعليه واجبات فمن حقوقه الاحترام والطاعة ومن واجباته عقد الصلح وعقد المحالفات، وتحاشي الظلم وتحمل أكبر قسط من جرائر القبيلة[1]، و يقسم الغنائم فيعطي الحقوق ويهضم حق نفسه، وإذ أتت الحرب شرف قومه ساحتها بالبطولة، أما إذا كان الأمر سلمياً فهم أهل الرأي السديد وديارهم ربيع للمجاور في قحط الأيام فهم العشيرة المتماسكة والمترابطة[2].

وتتضح بعض واجبات سيد القبيلة وصورته من خلال معلقة لبيد حيث يقول:[3]

إِنَّا إِذَا الْتَقَتِ الْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ ... مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُهَا
وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا ... وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَّامُهَا
فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى ... سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

لقد بين لبيد في معلقته واجبات سيد القبيلة في تقسيم الغنائم بعد المعركة، وكذلك السعي في الصلح للقبيلة إذا حدث أي شجار، ويتضح هذا المعنى أيضاً في معلقة زهير بن أبي سلمى الذي يمدح فيها سيدي القوم هرم بن سنان والحارث ابن عوف الذين قاما بالصلح بين قبيلتي عبس وذبيان، ودفع ديات القتلى بعد الحرب الطويلة المعروفة بداحس والغبراء[4]، فصور مكانة سيد القبيلة ودوره في دفع ديات القتلى، سعياً للصلح: [5]

سَعى سَاعيا غَيظ بن مُرّةَ بَعَدها ... تَبَزَّلَ ما بَيْنَ العشيرةِ بالدَّمِ
فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله ... رجالٌ بَنُوهُ من فريشٍ وَجُرهمِ
يَمِينـاً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ

---

[1] - عبدالرحمن،الشعر وأيام العرب،،ص 21.
[2] - صديق، حسن بشير، المعلقات السبع، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط1، 1998، ص 89.
[3] - لبيد: الديوان ص 320.
[4] - طبانه، معلقات العرب، ص 126-127.
[5] - زهيربن أبي سلمى المزني، (ت 13ف.هـ)، شرح الديوان، صنعة الإمام ثعلب، الدار القومية، القاهرة،964، ص 305-306.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعــاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحَتما يُحْدَى فِيْهِمُ مِنْ تِلاَدِكُــمْ مَغَــانِمُ شَتَّــى مِنْ إِفَــالٍ مُزَنَّمِ

لقد أدرك السيدان اشتعال نار الحرب من جديد بدفع ديات القتلى مما أطفأ نار التأريين بين القبيلتين، ولعل هذه الصورة لسيد القبيلة من أعظم الصور التي وردت في الشعر تجسيد شخصية السيد الحليم الــذي ينــشد الاســتقرار لقبيلتــه والقبائــل المجاورة.

4.1 أهمية النسب في القبيلة:

والأسر التي تعيش في القبيلة تنشأ بينها أواصر القرابة القائمة علــى الابــوة والعمومة الخؤولة، ليتحقق التعاون في الحياة، وكان من حسن حظ الفرد أن يكون له أعمام وأخوال كثيــرون، وبخاصــة إذا كــانوا مــن أصــحاب الجــاه والــسيادة لأنه سيعتز بهم ويفتخر بكثرتهم، وكان العربي يقول، (رجل معمم مخول) أي كثيــر الأعمام والأخوال،[1] وفي ذلك يقول امرؤ القيس:[2]

فَأَدْبَرْنَ كَالجِزْعِ المُفَصَّــلِ بَيْنَــهُ بِجِيْدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيْرَةِ مُخْــوَلِ

حيث يبرز الشاعر أهمية الأعمام والأخوال في القبيلة العربية، لأن ذلك يؤثر في نسبه، فالعربي يتباهى بنسبه من أعمامه وأخواله، وفقا لــذلك كــانوا يتخيــرون زوجاتهم من أشرف القبائل، تحرياً للنسب الرفيع.

ولم تكن الأم نقيصة بحق القبيلة أو الإفراد بقدر ما هي تعبير عن علو قــدر الأم وارتفاع منزلتها بين الناس، ولا أدل على ذلك من انتــساب الملــوك والــسادة والشعراء وسائر العرب إليها، ومن هؤلاء "عمرو بن المنذر" فقد نسب إلى أمه هند وتردد نسبه هذا على أفواه العرب والشعراء.[3]

ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم في عمرو بن هند: [4]

بِأَيِّ مَشِيْئَــةٍ عَمْــرُو بْنَ هِنْــدٍ تُطِيْــعُ بِنَا الوُشَــاةَ وَتَزْدَرِيْنَــا

---

[1] - النعيمي،القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 49.
[2] - امرؤ القيس، (ت545): الديوان، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ص22.
[3] - النعيمي،القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 50.
[4] - عمرو بن كلثوم: الديوان ص 79.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بِأَيِّ مَشِيْئَــةٍ عَمْــرُو بْنَ هِنْــدٍ ترى أنا نكَــونَ الارذَلــيَــنَــا

ولقد نسب الملك لأمه وهذا ليس من العيب والانتقاص في العرف القبلي.

وكل قبيلة تتكون من عدد من الأفراد يقسمون إلــى طبقــات وفــق صــلتهم بالقبيلة، وهذه الطبقات: الصرحاء وهم أبناء القبيلة، والحلفاء المتحالفون مع القبيلــة، والموالي، والعبيد وهم الخدم، ولكل من هذه الطبقات حقــوق وواجبــات، إلا أنهــم يشتركون في بعضها، وتميز الصرحاء عن باقي الطبقات بامتيازات يتمتعون بهــا، إلا أنهم ليسوا مرتبة واحدة، لأن البيت والعدد أمران بارزان في كيان القبيلة، وكان عمل الرقيق مقتصراً على الرعي وخدمة بيوت الصرحاء من أبناء القبيلة، ولا يلحق بنسبها الا إذا قدم لها عملاً جليلاً، كأن ينقذها من هزيمة محققة بشجاعته كما فعــل (عنترة بن شداد)، وكان كل فرد في القبيلة يعرف نسبه ونسب أسرته وقبيلته ويفتخر به ويحفظه أبناؤه وأحفاده.[1]

وفي القبيلة عقد اجتماعي يعرف برابطة الدم في ظله تكون القبيلة في ســبيل الفرد والفرد في سبيل القبيلة، كلاهما جزء لا يتجزأ عن الآخر[2]، وأكد هــذا العقــد الجاحظ بقوله: "والعرب إذا وجدت رجلاً من القبيلة قد أتى فعلاً قبيحاً ألزمت ذلــك القبيلة كلّها، كما تمدح القبيلة بفعل جميل، وإن لم يكن ذلك إلا بواحد منها".[3]

وتتمسك القبيلة بأفرداها ما داموا متمسكين بقانونها العرفي، فإذا ما بدر منــه ما لا ترضاه القبيلة ولم تتعارف عليه ما يمس سمعتها أو شرفها أو يمــس أي فــرد فيها، كان جزاء هذا الخارج على قوانينها الخلع، والخلع يتبع طرد الفرد من حماها، وبتجريده وحرمانه من حماية القبيلة له وتركه فريسة للصحراء[4]، ولــذلك يتحاشــى الأفراد أن يقوموا بفعل يلحق العار بالقبيلة، فهي تظل متمسكة بكل فرد من أفرادهــا تحافظ عليه وترعاه وتنصره ما دام يسير وفق عرفها، فإذا ما بدر منــه ســلوك لا

---

[1] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 19.

[2] - النعيمي، القبيلة في الشعر الجاهلي،ص 85.

[3] - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ،البخلاء، أحمد العوامري، علي الجارم، دار الكتب العلمية، 1991، بيروت، ص 243.

[4] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 33.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ترضاه أو اعتاد أموراً لا توافق عليها عزلته[1]، وهذا ما عبر عنه طرفة ابن العبد بقوله: [2]

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي وبَيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيْفِي ومُتْلَدِي
إِلَى أنْ تَحَامَتْنِي العَشِيْرَةُ كُلُّهَا وأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيْرِ المُعَبَّدِ

لقد عبّر طرفة عن مصير من يخرج عن قوانين القبيلة وأعرافها، وتمادى سفهه وانهماكه في الملذات حتى خلعته قبيلته، ولعل ما مضى يبرز أهمية النسب للقبيلة.

ويشترك أفراد القبيلة جميعاً في الخير والشر والأفراح والأتراح، فيقول المثل العربي "في الجريرة تشترك العشيرة"[3] إذا أصاب العشيرة مكروه هبوا جميعاً لنجدتها لأن انتماءهم للقبيلة لا يضاهيه انتماء آخر، ولعل لبيد بين ربيعة عبر عن واقع الانتماء القبلي بقوله: [4]

وَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا

5.1 الأحلاف القبلية:

تعد الأحلاف مظهراً من المظاهر القبلية التي توضح طبيعة العلاقات بين القبائل وتنظيم شؤونها.

والحلف تعهد بين القوم على الصداقة، والصديق يحلف لصاحبه ألا يغدر به، ففي الحلف قسم وتعهد بالصداقة والأمانة، وألا يغدر الحليف بحليفه، وقد كان العرب في الجاهلية يعقدون معاهداتهم، فقريش كانت تتحالف عند الكعبة، ومعنى هذا أنهم يقسمون بمعبوداتهم على حفظ عهدهم، فكانوا يجرون محالفاتهم في أمكانهم المقدسة، ثم يأتون أحيانا بطقوس وإشارات تؤكد هذا الحلف، وتوثق من رباطه، فيذبحون القربان ويغمسون أيدهم في دمه، ثم يمسحون بدمائه المذبح فيشهدون بذلك معبودهم

---

[1] - النعيمي، القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 85.
[2] - طرفة بن العبد، طرفة بن العبد بن سفيان البكري، (ت564م)،: الديوان، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1975، ص 33.
[3] - الميداني، أبو الفضل،(ت 518)، مجمع الأمثال، مكتبة دار الحياة، بيروت، 1961، ج2، ص 20.
[4] - لبيد: الديوان، ص 318.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

على صدق حلفهم، ويأكلون من لحم هذا القربان، وهذه الشعائر رمز توثيق الصلات وربط قوى الوحدة بين الفريقين، ثم يذكر موضوع المحالفة والمدة التي يتفق عليها الطرفان، وأحياناً تكتب هذه المحالفات في صحف كالتي كانت بين بكر وتغلب[1]، وقد أشار الحارث بن حلزة في معلقته إلى ذلك حيث قال: [2]

واذكرُوا حلَف ذي المَجاز وما قُـدِّم فيه العُـهُـودُ والكفلاءُ
حَذَرَ الجَورِ والتَّعَـديَّ وهـل يَنْقضُّ ما في المَهارِق الأهواءُ
وَاعْلَمُـوا أَنَّنَـا وَإِيَّاكُـمْ فِيـ ـمَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ احْتَلَفْنَا سَوَاءُ

وتسعى القبائل للمحالفات طلباً للأمن ودفعاً للعدوان وإيثاراً للعافية، ومع ذلك فلم تستطع حقن الدماء أحياناً، ولقد لعبت الأحلاف دوراً كبيراً في تكوين القبائل، إذ كانت تنضم العشائر الضعيفة إلى العشائر القوية لتحميها وترد العدوان عنها[3]، وقد بين زهير الحلف الذي جرى بين عبس وذبيان أثر الحرب، وفي ذلك قوله: [4]

أَلاَ أَبْلِـغِ الأَحْلاَفَ عَنِّى رِسَالَـةً وَذُبْيَـانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَـمِ
فَـلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُـمْ لِيَخْفَـى وَمَهْمَـا يُكتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

6.1 العصبية القبلية:

والعصبية كما عرفها شوقي ضيف "الرباط الذي يوثق الصلة بين أفراد القبيلة"[5]، وهي رابطة أو رباط يعتصب به كل أفراد القبيلة فتتوثق صلاتهم ببعضهم البعض، وينصر الفرد منهم أخاه في جميع الحالات ويتعصب له، وأنهم إذا ما ظَلَم أخوهم أو ظُلم فإنهم يهبون لنجدته، وكما أن النظام القبلي نظام ملائم لطبيعة الجزيرة العربية، فكذلك العصبية ضرورية للمجتمع القبلي حيث يتعرض الإنسان الجاهلي لأعداء كثيرين، والناس مفطورون على المطامع ولا وازع يردعهم، ودأبهم التنازع، فلا بقاء للقبيلة إلا ببعضها[6]، والعصبية نزعة طبيعية في البشر على ذوي

[1] ـ العشماوي، محمد زكي، النابغة الذبياني، دار النهضة، بيروت، 1980، ص 150.
[2] ـ الحارث بن حلزة، الديوان، ص 36.
[3] ـ ضيف، العصر الجاهلي، 58.
[4] ـ زهير: الديوان ص 107
[5] ـ ضيف، العصر الجاهلي، 57.
[6] ـ عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 39.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

القربى وأهل المحارم أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن العزيز يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه، والعداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصيبهم من المخاطب والمهالك[1]، وظهور العصبية في المجتمع الجاهلي يلبي حاجة كامنة في نفس العربي، ويروي ظمأه إلى التعلق بمثل أعلى يعيش من أجله ويعكس توقه إلى عقيدة يؤمن بها.[2]

وللعصبية القبلية تبعات، فهي تشعر كل فرد في القبيلة أنه مسؤول عن الجماعة كلها، كما تشعر القبيلة أنها مسؤولة عن كل من ينتمي إليها، وهذه التبعات بمثابة عهد غير مكتوب يفرض على أبناء القبيلة التناصر والتآزر والسعي في سبيل منفعة القبيلة في جميع الأحوال، ويفرض عليهم تبني شعار: الفرد في سبيل القبيلة والقبيلة في سبيل الفرد.[3]

ومن أبرز مظاهر العصبية القبلية ذلك التماسك الوثيق الذي نراه بين أبناء القبيلة الواحدة، والتعاون الذي يسود حياتهم، وحرص كل فرد في القبيلة على سيادتها وكرامتها، والتفاني في سبيل الحفاظ على سمعتها وصونها من كل عبث[4]، وهذا الالتزام من القبيلة نحو أبنائها يوجب عليه العصبية لهم والتغني بأمجادها.

وهناك أمثلة متعددة من الشعر الجاهلي تبين هذه العصبية وتبعاتها ومن ذلك قول الحارث بن حلزة لبطن من بطون بكر يبدي عصبيته له حيث يساوي سائر بطون بكر بالقبائل العربية، ويتحدث عن بني حنيفة وبني شيبان، وكأنهم بالنسبة له ولقومه قبيلة أخرى لا يؤخذون بجرائرها[5]، فيقول: [6]

آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ... ءَتْ مَعَدٌّ لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ ... قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلاءُ

---

[1] - ابن خلدون،عبدالرحمن بن خلدون (ت808)، المقدمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، وادار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999. ص 142.
[2] - النص، إحسان، العصبية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة، دمشق، 1963، ص 139
[3] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 39.
[4] - النص، العصبية وأثرها في الشعر الأموي، ص 176.
[5] - نبوي، عبدالعزيز،شرح معلقتي طرفة بن العبد والحارث بن حلزة، الصدر لخدمات الطباعة، مدينة نصر، ط1، 1989، ص 54.
[6] - الحارث بن حلزة: الديوان، ص 32.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وَصَتِيــتٍ مِنَ العَوَاتِــكِ لا تَنْــ ـــهَاهُ إِلاَّ مُبْيَضَّــةُ رَعْــلاءُ

يتعصب الشاعر إلى قومه ويدافع عنهم، ولكن إذا حدث بين القوم نزاع فــإن ولاءه وعصبيته تكون للفرع أو البطن من القبيلة الذي ينتمي إليه، فقد تتفرق القبيلــة ويصبح كل بطنٍ فيها قبيلة منفصلة وبذلك يختلف الانتماء والعصبية.

وطرفة بن العبد رغم خلع قبيلته له والظروف المحيطة بنشأته من تقلب مــع أمه وأخويه بعد وفاة أبيه، وسوء معاملة أعمامه حين حرموه من ميراثهم، كون تلك الشخصية الحساسة القلقة التي تأرجحت بين التمرد والانتماء[1]، ويعزز ثقة قومه بــه إنما يؤكد انتماءه القبلي، فيعلن ارتباطه بالقبيلة التي ينصرها ويدافع عنها ويــشارك القبيلة في مشكلاتها وهمومها.[2]

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً خِلْتُ أَنَّنِــي عُنِيْــتُ فَلَمْ أَكْسَــلْ وَلَمْ أَتَبَلَّــدِ

ولست بحلال التــلاع مخــافــةً ولكن متى يسترفد القوم أرفــد[3]

والعصبية الجاهلية تجري قي دم طرفة رغم ما تعرض مــن خلــع وظلــم الأقارب الذي تسببت به قبيلته، لكنه بقي منتمياً للقبيلة ومدافعاً عنها في حالة الحرب وهذا حال غيره من أبناء القبيلة.

والأعشى من الشعراء الذين أثرت فيه القبيلة، فهــو شــاعرها الــذي نــشأ وترعرع في أحضانها، فكنّ لها كل الانتماء والولاء، من ذلك ما جاء فــي هجــاء الأعشى ليزيد بن مسهر الشيباني، الذي زجره عن الحقد الذي أكل الحقد قلبه فــسلى للنيل من قبيلة الأعشى، يقول: [4]

بلغ يزيدَ بني شيبانَ مألكــــةً أبا ثبيتٍ أما تنفــكُّ تأتــكــــلُ

ألستَ مُنتهياً عن نحتِ أثلتنــا ولستَ ضَائِرها ما أطَّت الإبــلُ

كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقَهــــا فَلم يَضرِهَا وأوهى قرنَهُ الوعلُ

تغري بنا رهطَ مسعودٍ وإخوتهِ يوم اللقاءِ فَتُرْدي ثمَّ تعتــــــزلُ

---

[1] - النعيمي، القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 233.
[2] - أبوسويلم، أنور، قراءة في معلقة طرفة،مجلة جامعة الملك سعود مجلد 3، 1992، ص 378.
[3] - طرفة بن العبد: الديوان، ص 31-32.
[4] - الأعشى: الديوان، ص 133.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

7.1 أيام العرب:

تعد أيام العرب شاهدةً على الإنتصارات في المعارك التي خاضتها القبائل العربية في ذلك العصر، وهي الأيام التي تغنى بها الشعراء جميعاً، وكانت محط فخر وإعجاب، ودالة على قوة تلك القبائل وشجاعتها، وقد وردت بعض النماذج في المعلقات لمثل هذه الأيام، ومن هذه الأيام يوم حزار الذي خاضت فيه قبيلتا بكر وتغلب حرباً على الأحباش في شبه الجزيرة العربية، بعد أن وجدت فيهم الأحباش خطراً يهدد كيانهما وكيان العرب الذين ينتسبون إليهم[1]، وقد صور ذلك عمرو بن كلثوم حيث قال: [2]

وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوْقِدَ فِي خَزَازَى ... رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَا
وَنَحْنُ الحَابِسُوْنَ بِذِي أُرَاطَى ... تَسَفُّ الجِلَّةُ الخُوْرُ الدَّرِيْنَا
وَكُنَّا الأَيْمَنِيْنَ إِذَا التَقَيْنَا ... وَكَانَ الأَيْسَرِيْنَ بَنُو أَبَيْنَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْهِمْ ... وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْنَا
فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا ... وَأُبْنَا بِالمُلُوْكِ مُصَفَّدِيْنَا

وقد استوفى الشاعر في معلقته أحداث هذا اليوم الذي يعد من أهم أيام العرب، وهو يعبر عن الشخصية القبلية بأجلى مظاهرها، ومميزة للهاجس القومي في مجراها التعبير إيمانا بوحدة الدم والتي استشعر بها[3]، وكان العرب في أيامهم يحرصون على أسر كبار القوم لما في ذلك من هزيمة معنوية لخصومهم وفخر لهم، ولما في ذلك من كسب مادي يحققونه بالفدية التي يفتخر شعراؤهم بذلك، كما كان يثير حماسهم أسر الملوك وأبنائهم، وهذا قمة النصر عندهم[4].

ومن أيام العرب التي ورد ذكرها في المعلقات (يوم نطاع)، وهو اليوم الذي أغار فيه بنو تميم على بني رزاح من بني تغلب وغنمت أموالهم[5]، وقد تغنى الحارث بن حلزة حيث قال [6]:

---

[1] - النعيمي، القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 354-355.
[2] - عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 82-83.
[3] - النعيمي، القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 385.
[4] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص25.
[5] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 133.
[6] - الحارث بن حلزه: الديوان ص 39.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لَمْ يُحِلُّــوا بَنِــي رِزَاحٍ بِبَرْقَا ءِ نَطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِــمْ دُعَــاءُ
ثُمَّ فَاؤُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَــةِ الظَّهْــ ــرِ وَلا يَبْرُدُ الغَلِيــلَ الْمَــاءُ

وقد تغنى الأعشى بأيام قبيلته (كيوم الحنو)، حيث كان قومه عزلاً من السلاح ولا مكشوفين للأعداء وهم الفوارس راكبين وراجلين، ويبدو ذلك في قوله:[1]

لئن قَتلتَم عَميداً لمَ يكُن صــــدَداً لَنَقتلنَ مثلهُ منكم فَنَمتثِـــــــــلُ
لئن مُنيتَ بنا عن غِبَّ معركـــــةٍ لم تُلفِنا من دماءِ القومِ ننتقـــلُ
لا تنتهونَ ولن ينهى ذوي شَطَطٍ كالطّعنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفَتَلُ
نحن الفوارسُ يومَ الحنو ضاحيةً جَنَبي (فُطيمةَ) لا ميلٌ ولا عُزُلُ

8.1 الديانة:

العرب في العصر الجاهلي كغيرهم من الأمم لهم عاداتهم وأعرافهم، وكــذلك عقائدهم ودياناتهم، وقد ورد في القرآن الكريم إشارات واضحة إلى ممارسات أهــل الجاهلية الدينية، وكذلك طبيعة العقائد والديانات التي إعتنقوها، وبخاصــة الوثنيــة وعبادة الأصنام، والشعر الجاهلي أيضاً لم يغفل هذا الجانب لأهميته بالنــسبة لهــم، ومن هذا الشعر المعلقات التي ورد فيها بعض مظاهر الحياة الدينية آنذاك وكــذلك ماورد في قول النابغة الذبياني الذي يشير فيه إلى الوثنية وعبادة الأصنام والــشرك بها: [2]

فلا لَعمرُ الذي مسَّحتُ كعبَتَهُ وما هُريقَ، على الأَنصابِ، من جَسَدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ، تمسحُها رُكبانُ مكَّةَ بينَ الغيْلِ والسَّعَــدِ

ومن مظاهر الديانة إشارة امرئ القيس لمصابيح الراهب وتشبيه محبوبته بها تحدث عن ليلة ماطرة مظلمة حيث يقول:

تُضِــيءُ الظَّلامَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَــــا مَنَــارَةُ مُمْسَى رَاهبٍ مُتَبَتِّــلِ[3]

---

[1] - الأعشى: الديوان، 135.
[2] - النابغة الذبياني،زياد بن معاوية الذبياني، (ت604) الديوان، محمد الطاهر، الشركة التونسية للنشر والشركة الوطنية الجزائرية، 1976،ص .
[3] - امرؤ القيس الديوان، ص 17.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِــبٍ أَمَالَ السَّلِيْــطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّــلِ[1]

والراهب ومنارته تشير إلى الديانة المسيحية،والراهب يضيء المنارة ليهدي السائر في الظلام إلى مكانه.

ويشير زهير بن أبي سلمى إلى الطواف حول الكعبة، وهذا طقس من الطقوس الجاهلية في الوثنية، يقول: [2]

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ رِجَــالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

وَاللَّات والعُزّى التي يعبدُونها بمكةَ والبيتِ العتيقِ المُكَــــرَّمِ

9.1 أحداث تاريخية:

تمر كل قبيلة من القبائل العربية ببعض الأحداث التاريخية التي تتباهى بها أمام القبائل كالانتصارات بالحروب، أو السلب، أو تذكرها من باب الهجاء أو تذكر بعض الأحداث المؤلمة.

فالحارث بن حلزة يذكر إغارة بكر على أحياء العــرب مــن البحــرين إلــى الحساء، ثم على تميم، وباهى بمن أسر قومه وسبوا، وبين أن غزوهم الــشامل لــم يسلم منه قوي ولا ضعيف،ولم يسلم من بطشهم ما شّيد من حصون[3] حيث يقول: [4]

هل عَلَمتَ أيّام ينتهبُ النــــــــاسُ غواراً لِكُلِ حَيٍّ عُــــواءُ

إذ ركبنا الجمال من سَعَفِ البَحَر ين سَيراً حتى نهاها الحِسَــاءُ

ثم مِلَنا على تميمٍ فأحرَمْنَــــــا، وفينا بناتُ قومٍ إمَــــــاءُ

لا يقيم العزيزُ بالبلدِ السَّهــــــــلِ ولا ينفعُ الذَّليلَ النَّجــــاءُ

وهنا ذكر لبعض القصص التاريخية المشهورة مثل قصة زرقاء اليمامة التي عرفت بحدة بصرها فأخبرت قومها بقدوم الغزو فلم يصدقوها حتى حصل لهم ما حصل، ويشير إلى تلك القصة النابغة الذبياني بقوله:

---

[1] - امرؤ القيس: الديوان، ص 24.
[2] - زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 105.
[3] - طليمات، والأشقر، الأدب الجاهلي، 2001.
[4] - الحارث بن حلزة، الديوان، ص 27-28.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

احكُمْ كحُكمِ فتاةِ الحيِّ، إذْ نظرَت إلى حَمامٍ سِراعٍ، وارِدِ الثَّمَدِ[1]

ويعير الحارث بن حلزة بني تغلب بأنهم انهزموا أمام مجموعة من القبائل في معارك وغارات، وهي كندة وحنيفة وبنو عتيق والعباد وقضاعة وإياد وتميم وغيرهم، وقد استطاع أن ينفي صحة اتهامات التغلبيين لقومه من جهة، وعيرهم بإذلال هذه القبائل لهم من جهة أخرى، وهو إذلال شنيع تمثله هذه القائمة الطويلة من أسماء القبائل[2] يقول: [3]

أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ ـنَمَ غَازِيهِمُ وَمِنَّا الجَزَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى إِيَادٍ كَمَا كاقيل يطَسَّمٍ أخوكُمُ الاباءُ
لَيْسَ مِنَّا الْمُضَرَّبُونَ وَلا قَيْـ ـسٌ وَلا جَنْدَلٌ وَلا الْحَدَّاءُ
أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَإِنَّا مِنْكُمُ إِنْ غَدَرْتُمْ بُرَاءُ
أم علينا جَرَّى العِبَادِ كما نيـ ـط بجور المحمل الأعباء
وَتَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِي هِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ الْقَضَاء

وتعد معلقتا الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم من أبرز المعلقات التي عبرت عن واقع القبيلة وأحداثها.

10.1 التنقل والترحال:

تقوم الحياة الجاهلية على التنقل من مكان إلى آخر بحثاً عن الكلأ والماء، فتحل قبيلة وترحل الأخرى وتتعاقب القبائل في سكناها، وقد جرت العادة عند شعراء الجاهلية عامة وشعراء المعلقات خاصة بذكر الديار والرحيل عنها وما يحل بها، فهو بذلك يرسم صورة لطبيعة القبيلة، وحياتهم القائمة على التنقل والترحال.

وحياة الظعن والترحل، كانت تمثل حياة الغالبية العظمى من بدو الصحراء، الذين كانوا في سفر دائم، متتبعين مساقط الغيث والماء ومنابعه ومواطن الرعي.[4]

---

[1] - النابغة، الديوان ص 37
[2] - العتوم، المعلقات العشر، ص 280.
[3] - الحارث بن حلزة، الديوان، ص 37-38.
[4] - طبانه، معلقات العرب، ص 192.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد بدأ زهير بن أبي سلمى معلقته على عادة الشعراء الجاهليين بذكر الأطلال وصورة رحيل المحبوبة، وهما صورتان قبليتان تبينان طبيعة الحياة البدوية، وقد أوضح كيفية الرحيل من ركوب الهودج والحل والمرتحل ووصف رحلته في الصحراء وما واجهه من عناء ومشقة، يقول: [1]

أُمِّن أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ... مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ... فَلأْيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ ... وَنُؤْيَاً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

لقد أعطى زهير صورة واضحة لطبيعة الحياة والترحل في مقدمته الطللية، وهذه صورة تبين جانباً قبلياً في العصر الجاهلي.

وترحل القبائل وتعاقب في السكنى، فترحل قبيلة من موضع وتحل مكانها قبيلة أخرى، وقد عبر عن هذا المظهر عبيد بن الأبرص في مقدمته الطللية الذي بين فيها الأماكن التي أصبحت خالية من أهلها حيث يقول:[2]

أقفرَ من أهله مَلْحوبُ ... فالقُطبيَّات فالذَّنوبُ

فَراكِسٌ فثُعَيلِباتٌ ... فَذاتَ فَرقَينِ فالقَليبُ

فَعَرْدةٌ ، فَقَفا حِبرٍّ ... لَيسَ بِها مِنهُمُ عَريبُ

وبُدِّلَتْ مِنْ أَهْلِها وُحوشًا ... وغَيَّرتْ حالَها الخُطُوبُ

أرضٌ تَوارَثَها الجُدوبُ ... فَكُلُّ من حَلَّها مَحْروبُ

وهذه كلها أسماء أماكن تسكنها القبائل وترحل منها، ومن صور الترحل مشهد الظعائن، بهوادج تظن كل هودج منها كناس طي وفي الهودج ظعينة مظلّلة بكلة رقيقة تقيها الغبار والحر.[3] ويقول بذلك لبيد: [4]

---

[1] - زهير: الديوان، ص 102-103.

[2] - عبيد بن الأبرص: الديوان، حسين نصار، دار المعارف، مصر 1957. ص 25.

[3] - طليمات،والاشقر، الأدب الجاهلي، ، ص 476.

[4] - لبيد: الديوان ص 300.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطُنَاً تَصِرُّ خِيَامُهَا
مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْـهِ كِلَّـةٌ وَقِرَامُـهَـا

11.1 الناقة والفرس:

لقد تغنى عدد من الشعراء الجاهليين بالفرس والناقة وحرصوا على ذكرهما في الشعر، فوصفوا كل جزءٍ من أجزاء الناقة وشبهوها أحياناً بالمحبوبة، فالقبلي اهـتم بالناقة التي تنقله من مكان لآخر عبر هذه الصحراء، وعليها يحمل متاعـه، ومـن أبرز من وصف الناقة في الشعر الجاهلي وبين أنها وسيلة الانتقال والارتحال للقبائل العربية وفيها ينتقل بحثاً عن الماء والكلأ طرفة بن العبد حيث يقول: [1]

وإنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَلُوحُ وتَغْتَـدِي
أَمُـوْنٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَـا عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُـدِ
تَرَبَّعْتِ القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي حَدَائِـقَ مَوْلِيَّ الأَسِـرَّةِ أَغْيَـدِ
تَرِيْعُ إِلَى صَوْتِ المُهِيْبِ وتَتَّقِـي بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ

وقد وصف ناقته سائرة متحركة ولم يصفها جامدة ثابتة، ويعلـق علـى ذلـك الدكتور شوقي ضيف حيث يقول "وما من شك أن هذه الحركة مشتقة مـن حيـاتهم التي لم تكن تعرف الثبات والاستقرار فهم دائماً راحلـون وراء الغيـث ومـساقط الكلأ"[2].

وفي حديث الشاعر عن الناقة تصوير لجانب من الحياة القبليـة، فالناقـة ذات أهمية للإنسان القبلي وأعتز بها وفاخر أمام قبيلته، وفي الحديث عنها ذكر لـبعض الحيوانات التي تعيش في الصحراء وكلها تصور مظاهر الحياة القبلية يقول لبيد: [3]

بِطَلِيحِ أَسْفَـارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّـةً مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وسَنَامُهَا
فَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الكَلالِ خِدَامُهَا

[1] - طرفة: الديوان، ص 27-32.
[2] - ضيف، العصر الجاهلي، ص 223.
[3] - لبيد الديوان، ص 303-304.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

افتخر الشاعر أيضاً بفرسه وحصانه الذي يشاركه حياة الحرب والمعارك ومن ذلك حديث عنترة عن حصانه الذي يواجه به أعداءه: [1]

يَدْعُــونَ عَنْتَرَ والرِّماحُ كأَنَّهــا أَشْطَــانُ بِئْــرٍ في لَبانِ الأَدْهَــمِ
إِذْ لا أَزَالُ عَلَى رِحَالَــةِ سَابِــحٍ نَهْــدٍ تعــاوَرُهُ الكُمــاةُ مُكَلَّــمِ

ويتكرر هذا المشهد عند امرئ القيس الذي يثنى على حصانه السريع المقدام، حيث يقول:[2]

مكَــرٍّ مفَــرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِــرٍ مَعــــاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْــدُ عَنْ حَالِ مَتْنِــهِ كَمــا زَلَّــتِ الصَّفْــوَاءُ بِالمُتَنَــزَّلِ
مَسْحٍ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى أَثَرْنَ غُبَاراً بِالكَــدِيْدِ المُرَكَّـــــلِ

12.1 الصيد:

يعد الصيد مظهراً من مظاهر حياة العرب في العصر الجاهلي، ومــسلكاً مــن مسالك اللهو والتسلية، فكانوا يخرجون له للترفيه عن أنفسهم، ويصور فيه الــشعراء رحلتهم في طلب الصيد وتحملهم المصاعب في ذلك، وفي أثناء حــديثهم يــذكرون بعض الحيوانات الصحراوية.

ومن صور الصيد التي ظهرت عند النابغة الذبياني صورة فزع الثور الوحشي حينما يسمع صوت الصياد والذي تصحبه كلابه المدربه، وانطلاق هذه الكلاب إلــى الثور، فعدا أمامها بقوائم صلبة ليس في مفاصلهن ترهــلّ ولا اســترخاء[3]، يقــول الشاعر: [4]

فارتاعَ مِنْ صَوتِ كَلابٍ، فَبَاتَ لَهُ طَوعَ الشَّوَامتِ منْ خوفٍ ومنْ صَرَدِ
فبَّثهُنَّ عليهِ، واستَمَرَّ بــــــــــه صُمْعِ الكُعُوبِ بَرِياتٌ منَ الحَــــــــردِ
وكانَ ضُمْرانُ مِنهُ حَيثُ يُوزِعُهُ طَعْنَ المُعارِكِ عندَ المُحْجَرِ النَّجُــــدِ

---

[1] - عنترة، عنترة بن شداد العبسي، (ت516م)، الديوان، تحقيق محمد سعيد مولي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983، ص24.
[2] - امرؤ القيس، الديوان، ص 25.
[3] - طليمات، والاشقر، الادب الجاهلي، ص 347-348.
[4] - النابغة: الديوان ، ص 33-34.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد بين النابغة محاولة الصياد في صيد الثور من خلال كلابه لكنها لم تستطيع وهزمها الثور الذي طعنها بقرنه فارتاعت منه.

ومن مشاهد الصيد ما ورد في معلقة عبيد بن الأبرص الذي جعل خاتمة معلقته تتضمن مشهداً حياً من مشاهد الصيد، صور فيه كيف تقنص العقاب الثعلب حيث يقول:[1]

فَأَبْصَرَتْ ثَعْلَبًا سَريعاً ودونَهُ سَبْسَبٌ جَديبُ
فَنَفَّضَتْ رِيشَها وولَّتْ وَهْيَ مِنْ نَهْضَةٍ قَريبُ
فاشْتالَ وارْتاعَ مِنْ حَسِيسٍ وفِعْلُهُ يَفعَلُ المَذؤوبُ
فَجَدَّلَتْهُ فَطَرَّحَتْهُ فكَدَّحَتْ وَجْهَهُ الجَبوبُ

فرض هذا النوع من التسلية المتمثلة في صيد الحيوانات البيئة الصحراوية فضلاً على أن الصيد أيضاً كان وسيلة من وسائل للحصول على الطعام في حال السفر والتنقل وفي حال الإقامة، وفيه كذلك نوع من الرفاهية والمغامرة يقبل عليها المحترف.

13.1 الماء والسيل والمطر:

كانت القبائل العربية في ترحالٍ دائم للبحث عن الكلأ والماء، وكانت هذه القبائل عندما تجد الماء تحميه وتحمي مواقع السحاب، فلا تُرعى حماها ولا يَوردَ ماؤها الإ إذا استولي عليه عنوة وقسراً، ولطالما نشبت الحروب بين القبائل من أجل بئر ماء وغدير معشوشب، وقد عبر امرؤ القيس عن تناحر بين قبيلتين بسبب ورود الماء حاولت إحداهما منع الاخرى من الاقتراب[2]، يبدو هذا المشهد في قوله:

وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ[3]
كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ[4]

[1] - عبيد بن الأبرص: الديوان، 27.
[2] - البستاني، الشعر الجاهلي، ص 25.
[3] - امرؤ القيس: الديوان ص 19.
[4] - المصدر نفسه، ص 16.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد بين امرؤ القيس حماية العرب للماء فإذا حمت قبيلة بئـــراً أو غـــديراً فـــلا تقترب منه قبيلة أخرى، وهذا ما يقصد بقوله غير المحلل، أي الذي لم يكن حـــلالاً لكل الناس بل لأناس معينين.

ومن العادات القبلية في الورود على الماء أن يـــرد عليـــةٌ القـــوم المـــاء أولاً ليشربوه صافياً، ثم يرده رعاع القوم فيشربون الماء الكدر، لأنهم يأتون في مـــؤخرة الواردين[1]، حيث يقول في ذلك عمرو بن كلثوم: [2]

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْـــواً وَيَشْـــرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِيْنَـــا

فالقوم مقسمون طبقات وفق منزلتهم في القبيلة وعليها يكون الورود للماء.

والإنسان الجاهلي في هذه الصحراء الموحلة القاحلة بحاجة ماسة للماء، فهـــو مصدر حياته يشرب منه، ومصدر رزقه لحيوانه ونباته، ولذلك كانت فرحة الجاهلي عارمة عندما يسقط الغيث، فحاجة البادية إلى الماء جعلت لفـــصل الأمطـــار شـــأناً عظيماً لأن البدوي[3] يشعر بالجوع في أواخر الصيف، ويحزنه أن يرى العشب يابساً والغدران والأبار جافة، وتمله الطبيعة بصحوها المستمر وحرهـــا الخـــانق، فأخـــذه الكآبة خوفاً من الجدب إذا احتبس المطر، وضجراً من حياة متشابهة، ويظـــل علـــى هذه الحال مرحبا بتدل وجه السماء لتأتيه بالغيث والفرج، حتـــى إذا أغبـــر الأفـــق وسطع البرق، ابتهج ومضى يتأمل هذه الظواهر الجديدة في الطبيعة مترقباً نـــزول المطر، وقد عبر عن هذه الصورة امرؤ القيس حينما نظر فرحا إلى البرق والـــسيل الجارف يسحو الجبال ويفترس الصحراء، فتقلع الأشجار وتنهدم الآطام، يقول:[4]

أَحَارِ تَرَى بَرْقاً كأنَ وَمِيْضَـــــهُ كلَمْـــعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِـــيٍّ مُكَلَّـــــلِ

قَعَدْتُ لَهُ وصُحْبَتِي بَيْنَ حامـــــدٍ وبـــينَ إِكـــامِ بُعْـــدَمَا مُتَأَمَّـــــلِ

فَأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَـــةٍ يَكبُّ عَلَى الأذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

---

[1] - البستاني ،الشعر الجاهلي، ص 26.
[2] - عمرو بن كلثوم: الديوان ص 90.
[3] - البستاني، الشعر الجاهلي، ص 25-27.
[4] - امرؤ القيس: الديوان ص 24.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

14.1 الألعاب القبلية:

وقد انتشر في القبائل العربية عدد من الألعاب التي كانوا يلعبون بها من بـــاب التسلية، وقد ذكر بعض الشعراء هذه الألعاب من باب التشبه بها.

وفي حديث طرفة عن الأطلال يذكر لعبة المفايل حيث يقول: [1]

يَشُقُّ حِبابَ الماءِ حَيْزومُها بِهَـــا كما قَسَـــمَ الْتُّـــرَبَ الْمُفايِلُ باليَدِ

والمفايل أو الفيال أو المفايلة، هي لعبة الصبيان حيث يقومون بتكويم التـــراب أو الرمل، ثم يخبئون فيه خبيئاً، ثم يشق المفايل تلك الكومة بيده، فيقسمها قـــسمين، ثلث منها مخبأ في أي جانب؟ فإذا أصاب ظفر وإن أخطأ قمر.[2]

ومن الألعاب كذلك لعبة المخاريق وهي من علامات الخفة والحذق بالـــضرب بالسيوف[3] فقد أشار إليها عمرو بن كلثوم في قوله: [4]

كَأَنَّ سُيُـــوْفَنَا منَّـــا ومنْهُـــــم مَخَـــارِيْقٌ بِأَيْـــدِي لاَعِبِيْنَـــا

والمخاريق لعبة بيد الصبيان وهو المنديل الذي يلف ليغري به.[5]

وذكر عمرو بن كلثوم كذلك لعبة القلًينا، وهي خـــشبة يلعـــب بهـــا الـــصبيان ويديرونها ثم يضربون بها، يقول: [6]

وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَـــرْبٍ تَـــرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالقُلَيْنَـــا

ومن لعب الصبيان كذلك الخذروف، حيث شبه امرؤ القـــيس ســـرعة جـــواده بالخذروف، وهي شيء يدور به الصبي في يده فيسمع له دوياً، يقول:[7]

دَرِيْرٍ كَخُـــذْرُوفِ الوَلِيْـــدِ أمَرَّهُ تقلب كَفَّيْـــهِ بِخَيْـــطٍ مُوَصَّـــلِ

هذه بعض الصور من الحياة القبلية التي صـــورها الـــشعر الجـــاهلي عامـــة والمعلقات خاصة، فصور جوانب متعددة من حياة القبائل من فخرها وطبيعة حياتها وحلّها وترحلها، وعاداتها وتقاليدها، فبعض المعلقات نقلت صورة أحداث قبلية كاملة

---

[1] - طرفة بن العبد: الديوان ص 26.
[2] - الشيباني، أبي زكريا الأصفهاني، المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، دار الارقم، بيروت، ص 85.
[3] - طبانه، معلقات العرب، ص 239.
[4] - عمرو بن كلثوم: الديوان ، ص 76.
[5] - ابن منظور، لسان العرب مادة خرق،دار صادر بيروت، ط3،1994.
[6] - عمرو بن كلثوم: الديوان ص 88.
[7] - امرؤ القيس: الديوان ص 21.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة التي صورت قبيلتي بكر وتغلب من خلال حرب البسوس، وما تم من صلح وفخر بالمناقب وغيرها، ويبين طرفة بن العبد في معلقته مصير من يخرج عن أعراف القبيلة، وعبر عنترة عما عاناه لأنه ابن أمة، فالتقاليد الجاهلية لا تعترف بأبناء الإماء، وكذلك صورة معلقة لبيد فخراً قبلياً خالصاً تجاه سيد القبيلة وما يتمتع به من خصال، بمعنى أن المعلقات على وجه الخصوص كشفت عن حياة القبائل العربية بكل ما فيها، وبأدق تفاصيلها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثاني

مظاهر الحضارة في شعر المعلقات

الحضارة لغة: الحضر، الحضرة والحاضره: خلاف البادية، وفي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم قرار. [1]

ومظاهر الحضارة في العصر الجاهلي كأي مظهر آخر لم يغفله الشعر الجاهلي وشعر المعلقات على وجه الخصوص، فإذا أُخذ بعين الاعتبار أن الشاعر ابن بيئته يتأثر بكل ما يحيط به، والحضارة من المعالم اللافته التي اعتنى بذكرها الشعراء، لأنها تمثل صوره مشرقة من حياة العرب في ذلك العصر.

وقد عرّف ابن خلدون الحضارة في مقدمته واهتم بها ووقف عندها وقفة متأنية، حيث أشار إلى مفهومها بقوله: "والحضارة كما علمت هي التفنن في الترف، واستجادة أمواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابع، أو الملابس، أو المباني، أو الفرش، أو الأبنية ولسائر أحوال المنزل". [2]

ومن هنا يمكن القول إن الحضارة تتمثل في الاستقرار والبناء والعمران والتفنن بذلك.

والجزيرة العربية تعم بالقبائل البدوية التي تأثرت بالحضارات من حولها من مناذرة وغساسنة واليمن وغيرها، ويبدو أن سبب ذلك بسبب موقع الجزيرة العربية المتوسط بين هذه المواقع، ما يؤدي أن تكون طريقاً للتجارة والتنقل، وكذلك حركة أبناء القبائل وترحالهم، فأثر ذلك في حياة العرب ثم أخذ الشاعر يصف مظاهر البيئة من حوله، ويمكن أن يدرس هذا الجانب وفق العناوين الآتية:

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب مادة الحضر.

[2] - ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون،موسوعة العلامة ابن خلدون، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999، ص 465.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

1.2 الأطلال

لقد أبرز الشعراء من خلال مشهد الطلل في المعلقة صورة حضارية في ذلك العصر، تتمثل في الإشارة إلى أسماء المواقع والمدن والأماكن التي شهدت حركة بناء وعمارة، وكذلك ورد فيها ما يوضح طريقة البناء وأدواته، وهو ما جعل الباحثة تفرد للأطلال عنواناً تحت باب الحضارة.

ففي مقدمة امرئ القيس الطللية صورة عن بيئة الشاعر الذي لم يكن بدوياً بما تدل عليه الكلمة مثل أولئك الشعراء، الذين اهتموا بالقبيلة والحروب وغيرها، بل كان يهتم باللهو والغناء والمرح، كل هذا بسبب البيئة البدوية المتحضرة، فأصل الحضارة البداوة وكان لاتصال كندة بالممالك الأخرى أثر كبير في هذه الحضارة.

وقد كان امرؤ القيس نجدياً يمنياً حضرياً وبدوياً، وهو أول شاعر جاهلي ظهر أثر الحضارة في أسلوبه من ناحية اختيار اللفظ وجمال التعبير[1]، والمادة التي يصوغ منها صوره تتصل بالبادية اتصالاً وثيقاً، كأسماء الأمكنة، وبعر الآرام، والنخلة والرئم والاساريع والذئاب والثعالب والحنظل وأوتار الحناء والناقة وأشياء أخرى كثيرة، لكنه لم يكن بدوياً مفرطاً في البداوة وإنما نصف حضري، أو متحضراً في البادية، ومن هنا نجد بين مادته الأدبية ما ينم عن رقي وترف وثراء، فلم يكن المسك والفلفل، وكلاهما بعض مادته، مما يختاره الفقراء من الناس[2]، حيث قال في وصف الأطلال: [3]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا ... وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

رسم امرؤ القيس خريطة جميلة لمكان سكن محبوبته في وقوفه على الأطلال، ورأى أن هذه الأطلال ما زال لها أثر رغم ما نسجته عليها ريح الجنوب والشمال،

---

[1] ـ الحاوي، سعد، الصورة الفنية في شعر امرئ القيس، العلوم، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983، ص 257.
[2] ـ مكي، الطاهر، امرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، مصر، 1970، ص 270.
[3] ـ امرؤ القيس: الديوان ص 8-9.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهذه صورة توحي بطبيعة الحضارة في زمن امرئ القيس، ولعل لفظ النسيج الوارد في الأبيات السابقة يدل على معرفة العرب له. وفي حديثه عن بعر الارام وتشبيهها بحب الفلفل تبين أثر الحضارة والثراء.

ويكشف الشاعر عنترة بن شداد في معلقته عن حضارة مترفة راقية تعيش فيها محبوبته عبلة، والدارس لهذه المعلقة يستطلع صورة ذلك الصراع الطبقي بين الفقراء والأغنياء، وما دام الشاعر يتحدث عن صورة امرأة غنية ثرية لا بد أن قومها أناس يعيشون في مناطق حضرية نالت حظاً من الرقي الحضاري، حتى الرفاه الذي تتصف به أرض عبلة فهي من علامات الحضارة، ثم أشار الشاعر إلى عدد من المواقع والآثار التي تم بناؤها حيث يقول:[1]

وتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَوَاءِ وأَهْلُنَا ... بالحَزنِ فَالصَّمَّانِ فَالمُتَثَلَّمِ
حُيِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... أَقْوى وأَقْفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيْثَمِ
حَلَّتْ بِأَرض الزَّائِرينَ فَأَصْبَحَتْ ... عسِراً عليَّ طِلاَبُكِ ابنَةَ مَخْزَمِ
عُلِّقْتُهَا عَرْضاً وأَقْتُلُ قَوْمَهَا ... زعماً لعَمرُ أبيكَ لَيسَ بِمَزْعَمِ
ولقد نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ ... منّي بِمَنْزِلَةِ المُحِبِّ المُكْرَمِ
كَيفَ المَزارُ وقد تَرَبَّع أَهْلُهَا ... بِعُنَيْزَتَيْنِ وأَهْلُنَا بِالغَيْلَمِ
إنْ كُنْتِ أزْمَعْتِ الفِراقَ فَإِنَّمَا ... زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ
مَا رَاعَنِي إلاَّ حَمولةُ أَهْلِهَا ... وسْطَ الدِّيَارِ تَسُفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

لقد صور عنترة موقف الرحيل وذكر المواقع التي تقيم بها عبلة وهي صورة تعكس جانب الحضارة، وذكر حب الخمخم وهو (بقلة لها حب أسود إذا أكلته الغنم قلت لباتها وتغيرت)[2] فقد ذكر بعض ماتأكله الحيوانات وما يمكن أن يؤثر بها وعلى حليبها، وذكره لحب الخمخم وارتياعه إلفها لحب الخمخم صورة حضارية تعكس ما قد يؤثر بالحيوان من النبات، وذكره لحب الخمخم يعني كذلك رحيلها بعد الربيع.

وصورة الأطلال تعكس صورة حضارية عن كيفية وطبيعة هذا الرحيل من تحمل ونقل وما يترك من آثار.

---

[1] - عنترة،: الديوان، 14-15.
[2] - الشيباني، شرح المعلقات، ص 203.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

2.2 الخمر:

ومجالس الخمر من أبرز الصور الحضارية في الشعر الجاهلي بما فيها من لهو مجون وأدوات ومرافق، وقد برز تصوير هذه المجالس عند عدد كبير من الشعراء.

وممن أبرز في شعره صورة مجالس الخمر بكل تفاصيلها الأعشى الذي أشار إلى بائع الخمر وساقيها الذي يعد من الشخصيات النمطية، فالساقي يشد فمه خرقة بيضاء ويحلي أذنيه اللولؤ كما يفعل ملوك الفرس وثيابه مرتفعة عن الأرض[1] (وهذه الصورة مما اكتسبه الشاعر من الحضارات الأخرى)[2].

يقول في ذلك: [3]

يسعَى لها ذُو زُجاجاتٍ له نَطَفٌ مُقَلَّص أسفَلِ السِّربالِ مُعتَمِلُ

فقد بين ما يشرب به الخمر وهو الزجاج وكذلك شكل من يقدمه.

ويبرز الشاعر صورة حضارية متكاملة لمجلس الخمر حيث يقول: [4]

وقد غدوُت الى الحانُوتِ يتبَعُني شاوٍ مَشِلٌ شلولُ شُلشُلٌ شَـــولُ
في فتية كَسيوفُ الهِندِ قد عَلِموا أنَّ هنالك كُلُّ من يخفي وينتعلُ
نَازعتُهم قُضب الرَّيحَان مُتَكئاً وقهوةً مُزّةً راوُوقها خَضِـــلُ
لا يستَفِيقُونَ منها وهي راهنةٌ إلابهات، وإن علّوا، وإن نَهَلُوا
ومستجيب تخالُ الصَّنج يسمعه إذا تُرَجَّعُ فيه القينةُ الفضـــلُ
والساحباتُ ذُيولَ الريطّ آونةً والرَّافلات على أعجازها العجلُ

هذه الأبيات تنقل لنا مشهداً متكاملاً للحضارة الفارسية المترفة في لهوها، والبيت الأول يشير الى عبثية الموقف بمثل هذا التلاعب من الكلمات، ثم يتحدث الشاعر عن رفقائه في مجلس الشراب ويشبههم بسيوف الهند، وهذا التشبيه يدل على ذوق وقيم إنسان ذلك العصر، المتمثلة في الخمر والميسر، وهؤلاء الندمان من

---

[1] - عجلان، عباس، عناصر الابداع في شعر الاعشى ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1985، ص 72.

[2] - العمري، زينب،السمات الحضارية في شعر الأعشى، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1983، ص 72.

[3] - الأعشى: الديوان، ص 133.

[4] - الأعشى: الديوان، ص 133.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشباب الذين ينصرفون إلى المتعة، ولا يبالون بشيء آخر، ثم هذه الحركة الفاترة التي تبدو في الفعل (نازعتهم)، وهم على هذه الحالة من الانصراف إلى الخمر، ويبدو ذلك من لفظة متكئاً، وما يصاحب هذا الموقف من غناء وطرب ورياحين منثورة، ثم وصف القيّنة الفضل، وما تلبسه من الملابس الشفافة من الخز والتي تنم عن الترف، وهذا المشهد يعبر تماماً عن تأثر العرب في ذلك العصر بحضارات الأمم الأخرى، ثم إن ألفاظ الشاعر أكثر دقه ونعومة، وحركته فيها هذا اللين الذي يدل على تغير الذوق الحضاري عند الشاعر.[1]

ولعل البيئة الحضارية التي نشأ فيها الأعشى كان لها أثر في ذلك أيضاً، فقد ولد الأعشى في منفوحة باليمامة، وذلك الإقليم يقع في أطراف هضبة نجد في الجنوب الشرقي، ويحوي واديين يمتدان من الاتجاه الشمالي إلى الجنوبي، إحداهما وادي قران والآخر وادي العرض، ولما وكان من الأودية الخصبة، فقد كثرت بها القرى، وقامت الزراعة، ولذا فالمياه وفيرة باليمامة والجداول الجارية مألوفة[2] ، ولايعني ذلك البيئة التي ولد فيها فحسب هي التي أثرت فيه، فقد كان الأعشى جوالاً يستوعب في كل رحلة المؤثرات البيئية الجديدة التي يعيشها ولو لفترة وجيزة، فقد وفد على ملوك نجران بني عبد المدان، وعلى الغساسنه بالشام وعلى اللخمنين بالعراق.[3]

لقد كان لبيئة الأعشى الداخلية ولرحلاته الخارجية أثر في إظهار تلك الصور الحضارية المتنوعة في شعره. ويعلق عبدالملك مرتاض على بيت الأعشى الغريب وهو: [4]

وقد غَدوتُ الى الحانوتِ يَتبعُني شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولُ شَلْشَلٌ شَوِلُ

فيقول: " وقد كان الشراب يتم على صورتين : صورة الشارب المدمن الناشد للذة والمتلمس لسماع القيان والتمتع برقصهن، وكان ذلك يتم في حانات منصوبة تتاجر في الخمر والجواري، وربما كان الأعشى يُومئ ببيته العجيب الى هذا

---

[1] ـ العمري، السمات الحضارية في شعر الأعشى، ص 374.
[2] ـ عجلان، عناصر الابداع في شعر الأعشى، ص 16.
[3] ـ العمري، السمات الحضارية في شعر الأعشى، ص 19.
[4] ـ الأعشى: الديوان، ص 133.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الضرب من الحوانيت التي كانت منصوبة من الحواضر العربية هنا وهناك، والصورة الأخرى: إن الشارب ربما ابتاع زقاً من الخمر، ثم دعا أصدقاء له ليشاربوه في مناسبة من المناسبات، أو على وجه الإدمان، أو على وجه تبادل المجالس بين الصديق والإخوان".[1]

ويشير طرفة بن العبد إلى أماكن شرب الخمر وبعض أدواتها الحضارية حيث يقول: [2]

فَإن تَبغِني فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقِني وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي في الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

متى تأتني أصبُحك كأساً روية وإن كانت عليها غائبا فاغن وازدد

وقد ذكر طرفة في حديثه عن ملذاته نوعاً من أنواع الخمر هو الكميت و(الكميت من الخمر التي تضرب إلى السواد)[3].

يقول: [4]

فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العَاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالماءِ تُزْبِدِ

ومن أدوات الخمر كذلك الأزهر وهو[5] (الإبريق من فضة أو رصاص) يكون بجانب الزجاجه المخططة، وقد أشار إليه عنترة في معلقته حيث قال:

بِزُجاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشِّمالِ مُفَدَّمِ[6]

ويبين عمرو بن كلثوم مشهداً حضارياً لافتاً يتمثل فيه صورة الخمر وبعض أدواتها وحتى أماكن صناعتها، وكذلك الطريقة الحضارية المتبعة في صناعتها وطريقة خلطها بالماء، حيث يقول:[7]

ألاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا وَلاَ تُبْقِي خُمُوْرَ الأَنْدَرِيْنَا

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيْهَا إِذَا مَا المَاءَ خَالَطَهَا سَخِيْنَا

تَجُوْرُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِيْنَا

---

[1] - مرتاض، عبدالملك، السبع المعلقات، منشورات اتحاد الكتاب 1998، ص 324.
[2] - طرفة: الديوان ص 32.
[3] - التبريزي، شرح المعلقات ، ص 101.-
[4] طرفة بن العبد: الديوان، ص 32.
[5] - التبريزي، شرح المعلقات، ص 211.
[6] - عنترة، الديوان، 19.
[7] - عمرو بن كلثوم: الديوان ، ص 65-66.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تَرَى اللَّحزَ الشَّحِيْحَ إِذَا أُمِرَّتْ عَلَيْــهِ لِمَــالِهِ فِيْهَــا مُهِيْنَــــــا
وَكَأْسٍ قَدْ شَــرِبْتُ بِبَعْلَبَــكٍّ وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصرِيْنَــــا

فقد ذكر الشاعر الصحن وهو القدح الواسع الضخم والكأس كما ذكر الــشام وبعلبك وقاصرين، وهذه صورة حضارية.[1]

ويبدو في ما مضى ما كانت عليه الحضارة العربية، في ذلك العصر، ومــا اكتسبته تلك الحضارة من حضارات الأمم السابقة، وكذلك أثر ألفاظ الحضارة فــي الشعر الجاهلي، كما بدا ذلك من النماذج الشعرية السابقة.

3.2 الاسلحة وأدوات القتال:

إن البيئة العربية التي نشأ فيها الجاهليون بما فيها من ظروف قاســية، ومــا شهدته القبائل العربية من صراعات ونزاعات تطلب وجود صناعة للأســلحة وآلات الحرب التي تشكل فيها جانباً حضارياً مادياً، فقد بلغت الأسلحة بشكل عــام مكانــة خاصة عند العرب الذين رأوا فيها هيبتهم ومكانتهم وقد أشار معظم شعراء المعلقات إلى أنواع الأسحلة ومن ذلك إشارة طرفة بن العبد إلى السيف المهند حيث قال: [2]

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ منْ وَقعِ الحسَامِ المُهَنَّدِ

فقد ذكر السيف من باب تشبيه ظلم ذوي القربى بوقع السيف، أي أنــه شــديد الألم، وطرفة شديد الفخر بسيفه البتّار محكم الصنع، وفيه يقول: [3]

فَــآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَــةً لِعَضْــبٍ رَقِيْقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّــدِ
حُسَــامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِــهِ كَفَى العوْدَ مِنهُ البدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ
أَخِــي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيْبَــةٍ إِذَا قِيْلَ مَهْلاً قَالَ حَاجِزُهُ قَــدِي

وتحدث شعراء المعلقات عن الرماح بأنواعها وأشادوا بطريقة صنعها، من ذلك قول عنترة يعلي من شأن رمحه وسيفه أيضاً:[4]

فَشَكَكْــتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَــهُ لَيْــسَ الكَرِيمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ

---

[1] ـ التبريزي، شرح المعلقات، ص 237.
[2] ـ طرفة: الديوان ص 36.
[3] ـ طرفة: الديوان ص 36-37.
[4] ـ عنترة: الديوان ص 21،22.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فَطعنْتُــهُ بِالرُّمْــحِ ثُــمَّ عَلَوْتُــهُ بِمُهَنَّــدٍ صافِي الحَدِيدَةِ مِجْــذَمِ

ومن أنواع الرماح السمهرية أشار إليها لبيد بقوله:

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّــةٌ كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُــهَا[1]

وأشار النابغة إلى صانع السيف الذي يعرف بالصقيل، حيث قال: [2]

مِنْ وَحشِ وَجْرَةَ، مَوْشِيٍّ أَكارِعُهُ طَاوِي المَصِيرِ، كسَيِّفِ الصَّيقَلِ الفَرَدِ

وهذه من الصور البدوية في شعر النابغة، الذي عرف شعره بالتأرجح بــين البداوة والحضارة، الا أنه يظل أقرب إلى البداوة فقصائده مشبعة بروح البداوة.[3]

ولعل هذا التأرجح سببه تعلق النابغة بقبيلته، بسبب حرب داحس والغبــراء، وحماسته لها، وعلاقته بالحضارة مع الملوك وذهابه إلى بلاطهم وخصوصاً صحبته مع الملك النعمان بن الحارث، فتأثر بمؤثرات الحضارة هناك.

وأكثر زهير بن أبي سلمى من وصف الأسلحة وأدوات القتال في شعره وفي المعلقة ذكر أكثر من أنواع الأسلحة، لأن زهيراً خاض طــويلاً فــي موضــوعات الحرب والسلم، ومن ذلك قوله بالرماح: [4]

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُــمْ دَمَ ابْــنِ نَهِيْــكٍ أَوْ قَتِيْــلِ المُثَلَّمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْــرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّــهُ يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلُّ لَهْــذَمِ

فقد فصل زهير الحديث عن الرمح، فالزجاج هو أسفل الــرمح، والعــوالي أعلى الرمح، وأشار إلى الرمح الحاد بمعنى لهذم.[5]

ومن الصور التي تعكس حضارة العرب في الحرب غيــر الأدوات الــسابقة الحديث عن راية الحرب قبل وبعد الحرب واستخدام الألوان، في ذلك يقول عمــرو ابن كلثوم:

بِأَنَّا نُــوْرِدُ الــرَّايَاتِ بِيْضــاً وَنُصْــدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَــا[6]

---

[1] - لبيد: الديوان ص 312.
[2] النابغة، الديوان، ص 34.
[3] - حاوي، إيليا، النابغة سياسته وفنه، بيروت، ط2، 1987،ص 216
[4] - زهير: الديوان ص 109.
[5] - الشيباني، شرح المعلقات ، ص 136-137.
[6] - عمرو بن كثوم: الديوان، ص 71.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذا ذكر لبعض أنواع أدوات الحرب التي تدل على صورة حضارية في استعمالها، فقد صنعوها وعرفوا كيفية استخدامها، وفي ذلك كله ملمح حضاري شهدته الجزيرة العربية آنذاك.

4.2العطور

اهتم العربي بالعطور منذ القدم رجالاً ونساءً، ولذلك تحدث الشاعر الجاهلي عن العطور والمواد التي تصنع منها وكذلك الأوعية التي تحفظ بها، وهذه صورة حضارية.

ومن ذلك ذكر المسك وهو من العطور وله رائحة زكية قوية، يصنع بطريقة حضارية، وقد ورد في شعر الأعشى حيث قال:

إذا تقومُ يضوعُ المسكُ أصورةً والزنبقُ الوردُ من أردانها شملُ[1]

لقد ذكر الأعشى بالإضافة إلى المسك الوعاء الذي يحفظ به وهو الصوار.[2]

وفي بيت الأعشى إشارة إلى أنواع من الورد والزئبق، وهذه صورة تعكس معرفته للأزهار وأنواعها وربطها بالعطر حيث بعض الأنواع يستخلص منها الطيب.

وذكر امرؤ القيس القرنفل وهو نوع من الطيب له رائحة طيبة، حيث قال:

إِذَا التفت نحوي تَضوَّع ريُحها نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ[3]

وأشار عنترة إلى المسك بقوله: [4]

وكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيْمَةٍ سَبَقَتْ عوَارِضَها إليكَ مِن الفَمِ

"وغالباً ما تدل الفأرة على المسك لأنها أصله، والقسيمة من أوعية العطارين يجعل منها الطيب"[5] وقد عرض عنترة صورة التاجر الذي يبيع العطر وهو العطار، ويدل ذلك أيضاً على معرفتهم للتجارة.

---

[1] - الأعشى: الديوان، ص 131.
[2] - مبيضين، ماهر، مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي، دار عمار، الأردن، ط1، 2006، ص 87.
[3] - امرؤ القيس: الديوان ص 15.
[4] - عنترة: الديوان ص 16.
[5] - المبيضين، مظاهر الحضارة المادية.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والعطر ليس فقط للأحياء ولكن للأموات أيضاً كما هو اليوم، فقد أشار زهير ابن أبي سلمى إلى عطر منشم (منشم هو اسم امرأة مخزومية تبيع العطر)[1] وقد شروه لموتاهم حيث قال: [2]

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطرَ مَنْشَمِ

وتنوعت أنواع العطور والمواد التي تأخذ منها، ولكن الأشهر هو المسك، فهو معروف منذ القدم إلى الآن، ولعل في طريقة صنعها ما يدل على المظهر الحضاري للعرب في ذلك العصر.

5.2 أدوات موسيقية:

يعد الحديث عن الأدوات الموسيقية من الجوانب الحضارية، وقد كانت الموسيقى مرتبطة بمجالس اللهو والغناء والخمر، ولعل ظهورها في الشعر العربي دلالة على تأثر العرب بالحضارة الفارسية، فأسماء بعض الآلات الموسيقية الواردة في الشعر الجاهلي ألفاظ فارسية معربة، ومنها الصنج، وهو الذي يضرب الأصبع، وهو عبارة عن صنجة مدورة من النحاس يضرب بها على آخر مثلها للطرب.[3]

يقول في ذلك الأعشى الذي تأثر بالحضارة الفارسية كما ذُكر سابقاً: [4]

وَمُستَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنج يَسمَعُهُ إذا تُرجع فيه القينة الفُضُل

وأشار عنترة إلى القصب، والقصب مما تصنع منه المزامير، حيث شبه صوت الناقة عندما بركت بصوت المزامير، فقال: [5]

بَرَكَتْ عَلَى جَنبِ الرِّدَاعِ كَأَنَّما بَرَكَتْ عَلَى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

6.2الملابس:

عُرفت الملابس منذ القدم عند الأمم، وتطورت عبر الزمن من أقمشة وزخرفه وألوان، لتتناسب والعصر الذي صنعت فيه وأصبح لكل قبيلة أو منطقة

---

[1] - الشيباني ، شرح المعلقات ، ص 129.
[2] - زهير ، الديوان، ص 106.
[3] - ابن منظور، لسان العرب مادة ون.
[4] - الأعشى، الديوان، ص 133.
[5] - عنترة، الديوان، ص 18.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لباسها الخاص بها والذي استمر بالبساطة ثم بدأ مع مرور السنين وتبدل الحضارات بالتطور التدريجي.

وتعددت صور الملابس في الشعر، فذكر الشعراء العديد مما تلبسه المرأة والرجل، ومن ذلك الوشاح وقد ذكره الأعشى، بقوله: [1]

صِفْرُ الوشَاحِ، وَمِلءُ الدَّرع بِهكَنَةٌ إذا تَأَتَّي يكادُ الخَصرُ ينخزلُ

وهذا الوشاح حدد لونه بالأصفر الذي غطى محبوبته كاملا، وقد لبست تحته الدرع.

وقد ذكر طرفة في معلقته البرجد (هو كساء مخطط)[2]، أو نوع من القماش المخطط الذي يصنع منه الملابس، ويدل على صناعة أنواع مختلفة من القماش، حيث قال: [3]

أَمُـوْنٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَـا عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُـدِ

ومن صناعات الملابس كذلك صناعة الحرير الدمقس وهو (الحرير الأبيض)[4]، يقول امرؤ القيس في تشبيه اللحم بالحرير: [5]

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَـا وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّـلِ

وقد عرفوا من الصناعات صناعة النعال والتي صنعوها من الجلد بالسبت اليماني فاليمن كانت مشهورة بصناعة هذا الجلد في ذلك يقول طرفة: [6]

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمِي ومِشْفَـرٌ كَسِبْـتِ اليَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُجَـرَّدِ

وذكر عنترة صناعة النعال أيضاً (نعال السبت) وهي المدبوغة بالقرظ فقد كانت تصنع للملوك[7].

بَطـلٌ كأَنَّ ثِيـابَهُ في سَرْحـةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لِيْسَ بِتَـوْأَمِ

---

[1] - الأعشى: الديوان، 131.
[2] - أبوزيد، علي إبراهيم، طرفة شاعر البحرين في الجاهلية،دار الكتاب الجامعي، العين، ط1، 1993.ص 112.
[3] - طرفة الديوان :ص 27.
[4] - امرؤ القيس: الديوان ، ص 11
[5] - المصدر نفسه، ص 11.
[6] - طرفة: الديوان، ص 30.
[7] - التبريزي، شرح المعلقات، ص 216.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد تميز الملوك في لباسهم بلبس التاج وهذه من صور الحضارة وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:[1]

وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوْهُ بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِيْنَا

وهذه من الصور التي تأثروا بها من الحضارات الأخرى.

وفي هذا النوع من الصناعات يبدو الأثر الفارسي واضحاً في البيئة العربية في العصر الجاهلي.

7.2 المساكن

كانت القبائل العربية في البيئة الصحراوية منذ القدم تعيش في خيام تنتقل بها بحثاً عن الكلأ والماء، وهذا النوع من المساكن يناسب طبيعة هذه الحياة، وكانوا يصنعونها من شعر الماعز المتوفر لديهم، ولكن مع تطور الحضارات وتأثرها ببعضها أصبح بعضهم يبحث عن الاستقرار والثبات خصوصاً مع معرفة الزراعة، وأدى هذا إلى بناء البيوت من الطين أو حسب ما يتوافر لديهم ويسمونها الآطان، ثم تطور البناء حتى بنوا القصور، وقد ذكر الشاعر الجاهلي طبيعة سكنه فيذكر الخيام عند حديثه عن الأطلال، كما ذكر الحصون، والقصور، وتتمثل الصورة الحضارية في البناءوطريقة العمران وأدواته وبخاصة عند الشعراء الذين عاشوا في بيئات حضارية مثل الاعشى وامرئ القيس.

وتتمثل الصورة الحضارية في المسكن في طبيعة هذا المسكن والتطور الذي يحدث له مع تطور العصور.

فالبدوي البسيط الذي كان يصنع بيته (الخيمة من الشعر) يذكرها وقت الرحيل، وقد اهتم الشاعر بطبيعة السكن التي عاشها إنسان عصره، فرسم بعضاً من الصور للخيمة العربية القديمة بأعمدتها وما حول ذلك من نؤى وأثاف[2]، وفي ذلك يقول زهير: [3]

---

[1] - عمرو بن كلثوم: الديوان ص 71.

[2] - الرباعي، عبدالقادر، الصور الفنية في شعر زهير، دار العلوم، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984، ص 61.

[3] - زهير: الديوان، ص 103.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أَثَــافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَــلِ وَنُؤْيَاً كَجِذْمِ الحَوْضِ لمْ يَتَثَلَّمِ

فالأثافي والمرجل والنؤى، والأعمدة، والخيمة، والرماد الهامد، المتبلد، كلهــا عناصر لبيت العربي القديم (الخيمة) استعارها الشاعر ورسم صورة لها.[1]

والمرجل هو ما يطبخ عليه من حجارة أو حديد، والنؤى الحاجز يحمل الجيــاد ويمنع من التسلل، الجذم البئر والأثافي الحجارة التي يجعل عليها القدر، والمعــرس الموضع الذي يوضع فيه المرجل[2]. وفي ذلك صورة حضارية بسيطة.

وممن أشار إلى الآطام وهي من الصور الحضارية امرؤ القيس حيث بين أنها محكمة لأنها بنيت من حجارة ضخمة، يقول:

وتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَــةٍ وَلاَ أُطُمــاً إِلاَّ مَشِيْداً بِجِنْــدَلِ[3]

لقد أشار امرؤ القيس إلى الأطم وهي بيوت تصنع من الحجارة .

وشبه طرفة بن العبد فخذي ناقته بالقصر المشرف وهــو بــذلك ينقــل بعــداً حضارياً في ذكره للقصور حيث قال: [4]

لَهَا فِخْذَانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيْهِمَا كَأَنَّهُمَــا بَابَا مُنِيْــفٍ مُمَــرَّدِ

وتتضح الصور الحضارية أيضاً في حديث الــشاعر عــن تــصميمهم بنــاء القصرمن الداخل، وما فيه من شرف وأبواب، وتدل هــذه الــصورة علــى إنجــاز حضاري.[5]

ومن صور البناء التي تدل على الحضارة كذلك القناطر،وقد أشار إليها طرفــة ابن العبد في معرض حديثه عن ناقته حيث قال: [6]

لَهَــا مِرْفَقَــانِ أَفْتَلاَنِ كَأَنَّمَــا تَمُــرُّ بِسَلْمَــي دَالِجٍ مُتَشَــدِّدِ

كَقَنْطَــرَةِ الرُّوْمِــيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَــا لَتُكْتَنِفَــنْ حَتَى تُشَــادَ بِقَرْمَــدِ

---

[1] - الرباعي، الصور الفنية في شعر زهير، ، ص 6.
[2] - الشيباني ، شرح المعلقات ، ص 14.
[3] - امرؤ القيس، الديوان، ص 25.
[4] - طرفة: الديوان، ص 28.
[5] - المبيضين، مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي، ص 248-249.
[6] - طرفة: الديوان ص 25.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد نسبها إلى الرومي، لأن الروم اشتهروا بالعمارة الفنية المتقنة القادرة على حماية أصحابها من عوادي الطبيعة.[1]

وقد ذكر في الشعر مواد البناء، فطرفة أشار إلى القرمد وهو ما شيدت به القنطرة، ويبدو أنه نوع من أنوع الجبص، ويظهر أن البناء المقرمد كان يتصف بالأحكام والصلابة، ولهذا تكرر في الشعر الجاهلي تشبيه الناقة القوية بالبناء المقرمد[2] ، ومن ذلك قول عنترة: [3]

أبقى لها طُولُ السِّفارِ مُقرمداً سنداً ومِثَل دَعَائِمِ المُتَخيَّمِ

فقد ذكر كذلك دعائم الخيمة وهي تجعلها ثابتة وهذه صورة بدوية أثرت في الشاعر رغم صور الحضارة التي رآها في سفره وتجواله.

وذكر الأبنية والقصور كلها من المؤثرات في القصيدة الجاهلية، وألفاظ الحضارة كانت زاداً للشعراء ومادة للتشبيه أيضاً.

8.2 أدوات الكتابة

تشير بعض العلامات في الشعر العربي وغيره على معرفة العرب بالكتابة، وأدواتها، مثل النقش والرسوم على الحجارة وغيرها، وثمة آيات قرآنية أكدت معرفة الكتابة عند العرب في الجاهلية، ومن ذلك قوله تعالى:"وقالوا: أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرةً وأصيلاً" الفرقان: الآية (5).

وقد ورد في الشعر العربي العديد من الأسماء لأدوات الكتابة ومن هذه الأدوات (المهارق) التي استخدمت في كتابة الأحلاف، وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة: [4]

وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ العُهُودُ وَالكُفَلاءُ
حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْقُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الأَهْوَاءُ

[1] - أبوسويلم، أنور، الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، دار عمار، الأردن، 1990، ص 230.
[2] - المبيضين، مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي، ص 282.
[3] - عنترة: الديوان، ص 18.
[4] - الحارث بن حلزة، الديوان، ص 36.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والمهارق نوع من الثياب البيض أو الحرير الأبيض، تسقى بالصمغ ثم يكتب عليها.[1]

ومما يدل على معرفة الكتابة ما ورد في معلقة لبيد حيث يقول:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنَىً تَأَبَّــدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَــا
فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَــا خَلَقَاً كَمَا ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُهَا
وَجَلا السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلامُــهَا[2]

لقد ذكر لبيد في معلقته النقش على الحجر وهي من الأساليب القديمــة التــي شاعت قبل معرفة أدوات الكتابة الأخرى وهي تبقى ثابتة، وأشار إلى أداة من أدوات الكتابة هي الأقلام.

ومن أدوات الكتابة قرطاس الشامي، "ويمكــن أن يكــون الــورق الأبــيض الناصع، لانسجام المعنى اللغوي مع مراد الشاعر والأغلب أنه أراد بالقرطاس ورق البردي لا الجلد، لأنه ذكرها فيما يقابل السبت وهو الجلد المدبوغ".[3]

ومعرفة الكتابة وأدواتها وصنع هذه الأدوات كلها صورة حــضاربة للحيــاة الجاهلية، فالكتابة من علامات الحضارة حيث تطورت من الحجارة إلى الجلــد ثــم الورق وكذلك أدواتها.

9.2 الإنارة:

يبدو الجانب الحضاري في طريقة الإنارة وتطور أساليبها من الطور البسيط إلى طور أكثر تقدما وحضارة، يقول الحارث بن حلزة: [4]

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَــدَتْ هِنْــدٌ النَّــارَ أَخِيراً تُلْــوِي بِهَــا العَلْيَــاءُ
فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَــا مِــنْ بَعِيــدٍ بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلاءُ
أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ العَقِيــقِ فَشَخْصَيْنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَــاءُ

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب مادة (هرق).
[2] - لبيد، الديوان، 297.
[3] -صديق، المعلقات السبع، ص 146.
[4] - الحارث: الديوان، ص 20-21.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهذه الأبيات تشير إلى صورة حضارية عند الجاهلي البسيط الذي أشعل النار لينير بها على نفسه وليهدي بها التائه في عتمة الصحراء.

ومع تطور الحضارات واختلاطها مع بعضها البعض عرف الجاهلي الإنارة بالذبال والفتيل، وكذلك معرفته بالزيت الذي يشعل به النار واستخدامه ليوقد الفتيل فقد أشار إلى هذا المظهر امرؤ القيس بقوله: [1]

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِبٍ أهان السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّلِ

وأشار إلى ذلك الأعشى أيضاً بقوله:

لاتَنتَهُونَ ولن يَنَهى ذَوِي شَطَطٍ كالطّعنِ يَذَهبُ فيه الزَّيتُ والفُتُلُ

لقد انتقل الجاهلي من الإنارة بالنار إلى الزيت والفتل والمصابيح وهذه نقلة حضارية، التفت إليها بعض شعراء المعلقات.

10.2 السفن:

عَرَفَ الجاهلي السفن، وصناعاتها، واستخدمها في التجارة والنقل عبر البحار، وقد ورد ذكرها كملمح حضاري في الشعر الجاهلي، ومن ذلك قول طرفة ابن العبد الذي أثرت فيه بيئته البحرية فهو من البحرين، وصور السفن في البحر كانت منظراً مألوفاً بالنسبة له، حيث قال: [2]

كَأَنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلاَيَا سَفِيْنٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِيْنِ ابْنَ يَامِنٍ يَجُوْرُ بِهَا المَلاَّحُ طَوْراً ويَهْتَدِي

11.2 أدوات الطعام والشراب:

لقد عرف الجاهلي طهي الطعام وتفنن في طريقة إعداده، وكان يستخدم له أدوات معينة تقوم على صناعتها مثل المرجل وهو القدر يقول امرؤ القيس:

على العَقبِ جيَّاشٍ كأنَّ اهتزامَهُ إذا جاشَ فيه حَمِيُهُ غَلَيُ مِرْجلِ

---

[1] ـ امرؤ القيس: الديوان، ص 23.

[2] ـ طرفة: الديوان، ص 26.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويبدو أن العرب في ذلك العصر قد استخدموا أدوات مختلفة في طهي الطعام وطريقة إعداده منها ما كان بسيطاً في صنعه، وفي مادته الأولية، ومنها ما وصلهم عن طريق الأمم الأخرى.

ويعد الإبريق من اوات الشراب المتعلقة بالخمر، وقد كان يسمى أحياناً بالأزهر، وقد أشار إليه عنترة في حديثه عن الخمر، وقرن ذكره بالزجاجة، حيث قال: [1]

زُجاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشَّمالِ مُقَدَّمِ

وأشار الأعشى إلى الدلو الذي يستخدم لسحب الماء، وهو الذي كان يسمى السّجل، قد وظفه توظيفاً فيه إبداع عندما وصف السحاب والبرق: [2]

بل هل تَرَى عَارِضاً قَد بِت أرقُبُه كَأَنَّمَا البَرقُ فِي حَافَاته الشُعل

لهُ رِدَافٌ، وجَوزٌ مُفأَمٌ عمِلٌ، مُنَطَّقٌ بِسِجَالِ المَاء مُتَّصِلُ

ومن أدوات الشراب أيضاً، الأدكن ويعني الزق الضخم، قد أشار إليه لبيد في معلقته حيث قال: [3]

أُغْلِي السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا

12.2 مظاهر حضارية مختلفة:

ذكر الشعراء بعض الصناعات التي تدل على المظاهر الحضارية ومن ذلك صناعات الجلد المدبوغ غير النعال، المحمل وهو ما يدبغ به السيف والسرج واللجام يقول امرؤ القيس: [4]

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ [5]

[1] - عنترة بن شداد: الديوان، ص 206.
[2] - الأعشى: الديوان ص 132.
[3] - لبيد: الديوان، ص 314.
[4] - امرؤ القيس: الديوان ، ص 9.
[5] - امرؤ القيس: الديوان، ص 21.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن الصناعات الجلدية صناعة الدرع وقيل الترس، وهي تعمل من جلود الإبل في بلاد اليمن،يقول عمرو بن كلثوم:

عَلَيْنَا البَيْضُ وَاليَلَبُ اليَمَانِي وَأَسْيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِيْنَا[1]

وكانت العرب تعرف طرقاً لمعالجة الحيوان والإنسان، وهذه من المظاهر الحضارية فكانت (الإبل إذا أصابها الجرب تغسل بالقطران)[2]. والقطران نفسه الكحيل، وقد أشار إلى ذلك عنترة بقوله: [3]

وكَأَنَّ رُبًّا أَوْ كُحَيْلاً مُقْعَداً حَشَّ الوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ

وعرفت العرب صناعة الثياب وتزيينها،وكذلك صبغها بألوان مختلفة، وقد أشار إلى ذلك عمرو بن كلثوم في تصويره لشدة القتال مع أعدائه حيث إن ثيابهم من شدة الدم غيرت كأنها مصبوغة باللون الأرجواني حيث يقول:[4]

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانٍ أَوْ طُلِيْنَا

ومن المظاهر الحضارية أيضاً صناعة الحلي والزينة، وبخاصة ما كانت مادته اللؤلؤ المستخرج من عرض البحر، فقد أشار طرفة بن العبد إلى ذلك حيث قال: [5]

وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

لقد ذكر بالإضافة إلى اللؤلؤ الزبرجد وهو من الحلي فذكر السمط أي (خيط من لؤلؤ وخيط من زبرجد).[6]

وأشار لبيد إلى الجمانة حيث قال: [7]

وَتُضِيءُ في وَجْهِ الظَّلامِ مُنِيرَةً كَجُمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا

وقد بين لبيد أن البحري والمقصود به الغواص هو الذي يخرج الجمان وهو اللؤلؤ.

---

[1] - عمرو: الديوان، ص 84.
[2] - التبريزي، شرح المعلقات، ص 209.
[3] - عنترة، الديوان، ص 19.
[4] - عمرو بن كلثوم: الديوان، ص 76.
[5] - طرفة: الديوان، ص 26.
[6] - ابن الأنباري،أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال، تحقيق عبدالسلام جبار، دار المعارف، 1963، ص 14.
[7] - لبيد: الديوان، ص 309.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

واستخدم العرب الحناء في صباغة الجلد والرأس، وكان إذ غطى رأس المرء شيباً صبغه بالحناء ليغطي هذه الشيب، يقول امرؤ القيس: [1]

كأنَّ دماءَ الهادياتِ بنحره عُصارةُ حِنّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجّلِ

ومن الأدوات التي عرفها الجاهلي الرحى التي تطحن الحبوب، وهذه صورة حضارية وقد أشار إليها عمرو بن كلثوم في معرض تشبيهه الحرب وهي تطحن الأعداء بالرحى التي تطحن الحبوب، حيث قال: [2]

مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا
يكُوْنُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِيْنَا

ووردت هذه الصورة أيضا في قول زهير: [3]

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

وأشار الشاعر إلى أن الثفال وهو الجلد الذي يوضع تحت الرحى، دلالة على إحكام صناعتها.

ومن الصور الحضارية أيضاً صناعة الهودج،وهو مركب للنساء وزخرفته فذكره الشعراء وذكروا ما يحيط به من كلل وأقمشة قد تنم عن الترف، ومن ذلك قول لبيد: [4]

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطُنَاً تَصِرُّ خِيَامُهَا
مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا

وقول زهير: [5]

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ وَرَادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ
وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ دَلُّ الناعِمِ المُتَنَعِّمِ

---

[1] - امرؤ القيس: الديوان، ص 23.
[2] - عمرو بن كلثوم: الديوان، ص 72.
[3] - زهير، الديوان، ص 107.
[4] - لبيد: الديوان، ص 300
[5] - زهير: الديوان ص 103- 104.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وذكر الوشم من أغراض الزينة للرجال والنساء وقد ذكره الشعراء من بـــاب حديثهم عن الأطلال وتشبيه ديار المحبوبة، وذكر الوشم من باب الـــشيء الـــذي لا يزول فهم يعرفونه ويعرفون المواد التي تصنع منه وكيفية رسمه على اليد وهذا من الصور الحضارية، يقول طرفة بن العبد: [1]

لِخَـــوْلَةَ أطْـــلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَـــدِ تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

وقول زهير: [2]

وَدَارٌ لَهَـــا بِالرَّقْمَتَيْـــنِ كَأَنَّهَـــا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشرِ مِعْصَمِ

[1] - طرفة: الديوان ،ص 25.
[2] - زهير: الديوان، ص 102.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثالث

الذوق الجمالي في شعر المعلقات (المرأة)

شغلت المرأة الشعراء قديماً وحديثاً، وتميز ظهورها في الشعر الجاهلي، فلا تكاد تلمح قصيدة جاهلية تخلو من ذكر المرأة وأطلالها أو التغزل بها. فعالم المرأة هو عالم الأنوثة الفياض بما فيه من سحر وجمال وفتنة، وعطر وزينة، ولين ونعومة، لذلك كان لهذا العالم خصوصيته في الشعر، فهو يقوم على الجمال والمرأة بكل ما فيها حتى الجمال.[1]

والبدوي حين يتعرض في تصويره للمرأة ينعتها بكل ما هو مستحب لديه ويجعلها هدفه المنشود ويشبهها أجمل تشبيه ينتزعه من مظاهر الطبيعة المحيطة به، ويمتاز وصفه لها بالجرأة والصدق فهو يقدم إليها أعز ما يملك حتى الرّوح ويفتديها بكل شيء من أجل أن يستحوذ على قلبها ويكتسب حبها، فهو يحيا حياتها له وهي تعيش لإرضائه وكان يسهب ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أجزاء وصفها إلا وتناولها في سياق حديثه.[2]

وظهرت المرأة في الشعر الجاهلي بعامة وفي المعلقات بخاصة، ولم تخل واحدة منها من ذكر المرأة، ووصف الهيام بها والحنين إلى لقائها والجزع لفراقها، وفي مطالع المعلقات من ذلك شيء كثير، وفي معظمها شيء كثير، أيضاً من الحديث عنها، ووصف ما يتكلفه العربي في التدريب إليها وما يتجشّم من الأخطار ليبدو في نظرها صورة البطل، الجدير بإعجابها، الذي يحمي حماها، ويقاتل من أجلها، وهي تحايله في حركاته وسكناته، ولا ينساها في أوقات السلام وفي ميادين الوغى ومصارعة الأبطال، وهذا كله يدل على ما كانت المرأة العربية تنعم به من المنزلة في المجتمع، وما كانت تشغل من قلب الرجل العربي في الجاهلية.[3]

---

[1] - يوسف، حسني عبدالجليل،عالم المرأة في الشعر الجاهلي، الدار الثقافية، القاهرة، ط1، 1998، ص 6.

[2] - عبدالعزيز، عيسى حماد،صراع الإنسان ضد وحش الصحراء، (عند أصحاب المعلقات) ، رسالة ماجستير، 1989-1990، ص 400.

[3] - طبانه، معلقات العرب، ص 213.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وتعددت صور المرأة في الشعر الجاهلي بما فيه شعر المعلقات من أم وزوجة، ورفيقة، وقينة، وبرزت فيه صورة جمالية للمرأة

1.3 صورة المرأة في الأطلال:

ظهرت المرأة بصورتها الجمالية في أغلب مطالع المعلقات، حيث وصف الشاعر ديارها وديار أهلها الراحلين ووقوفه واستيقافه أصحابه عندها لمدة من الزمن يتأمل الديار ويصف حالها قبل وبعد الرحيل، ولعل هذا يدل على مدى تعلق الشاعر بمحبوبته، فهو يذهب إلى آثارها في الطلل كناية عن شدة شوقه وولعه بها وقد يذكر اسم هذه المحبوبة وهو يتحدث عنها.

وزخرت المعلقات بالحديث عن الأطلال ومن ذلك قول طرفة: [1]

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ
وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أَسىً وتَجَلَّدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلاَيَا سَفِيْنٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

لقد ذكر طرفة أطلال امرأة بعينها هي خولة التي قد يكون اسمها الحقيقي أو لقباً لها، لقد وضح الجاهلي صورة المرأة من خلال الحديث عن ديارها وأطلالها وما بقي لها من آثار.

يصور طرفة موقف الرحيل، وما ينتابه من إحساس بالأسى واللوعة، ويصف مركب الحبيبة، وهي على أهبة الرحيل[2]، وقد شبه هودجها بالسفن العظيمة.

وزهير في مطلع معلقته ذكر أم أوفى التي يرجح أن تكون زوجته،يقول: [3]

أُمِّن أم أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

---

[1] - طرفة: الديوان، ص 25-26.
[2] - بوبعيو، بوجمعة، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 45.
[3] - زهير: الديوان، ص 102.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وممن ذكر أطلال محبوبته عنترة بن شداد فقد بدأ معلقته بسبب صريح، فقد عرف الطلل بعد توهم، ولما عرفه جعل فيه شخصاً ماثلاً وطلب منه الكلام والردّ على تحيته على الرّغم من انه طللٌ خالٍ مقفر بعد رحيل الحبيبة[1] يقول: [2]

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَرَدَّمِ أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ
يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عبْلَةَ واسلَمِي
حُيِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوى وأَقْفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

لقد ذكر عنترة اسم محبوبته صريحاً ثم لقبها أم الهيثم وابنة مخزم وعبلة هي محبوبته وابنة عمه.

ولكن تظهر صورة أخرى للمرأة في الطلل فبدل أن تكون هي الراحلة دون أي خبر، فهي التي تعلن بعزمها على الفراق وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة: [3]

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

2.3 وصف المرأة

لقد وصف الشعراء المرأة وتغزلوا بها حسياً ومعنوياً، وتتضح ملامح الجمال من خلال وصف مشهد رحيلها وتحملها في الهوادج، فيقول لبيد في ذلك: [4]

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطُنَاً تَصِرُّ خِيَامُهَا
مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عَصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا
زُجَلاً كَأَنَّ نِعَاجَ تُوْضِحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أَرْآمُهَا
حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا
بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارَ وَقَدْ نَأَتْ وتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا
مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

لم ينس لبيد لحظة وداع محبوبته، فهو يعيشها بكل وقائعها فلن ينسى تلك اللحظة التي صعدت فيها النساء إلى هوادجهن كأنهن الظباء فدخلن الكناس، ولن

---

[1] - صديق، حسن بشير، المعلقات السبع ، ص 81.
[2] - عنترة: الديوان، ص 14.
[3] - الحارث: الديوان ص 19.
[4] - لبيد: الديوان ص 300-301.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ينسى ذلك الإحساس الذي غمره عندما شاهد صديقاته وهن يتحملن جماعات فأحس بما ينبعث من عيونهن من عطف ورقة، ويما تفيض به وجوههن من مشاعر الحنان والحب.[1]

لقد وصف لبيد صورة النساء في الرحيل وهي صورة مستوحاة من بيئته وكذلك تشبيهاته، فقد شبهها بالظباء وتشبه النساء بالظباء والغزلان وغيرها في الشعر الجاهلي.

وممن وصف محبوبته ورحيل النساء زهير بن أبي سلمى الذي أظهر ذوقاً جمالياً للمرأة حيث قال: [2]

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ ... تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ ... وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ ... وَرَادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ
ظَهَرْنَ مِنْ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ ... عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ
كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ
بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ ... فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

لقد بين زهير كيفية الرحيل وما تحمله المرأة من متاع وأثره الباقي "إن زهيراً يتخيل مسار الرحلة موضعاً موضعاً ويتابع المرتحل في كل خطوة يخطوها، وقلبه يهتز أثراً للوعة وضلوعه ترتجف من حرقة الجوى[3]، وقد بدأت رحلتهن من جرثم وطرحن وعلى رواحلهن أنماط كريمة وستور، وردية الحواشي، ثم ذكر مراحل ارتحالهن ونزولهن في بلاد بني أسد، فما كدن يجتزن وادي الرسّ حتى أشرفن على جيل القيّان، ومضين بعدئذ نجزن عن وادي السّوبان وعلون متنه، وقد توفر لهن جميع أسباب الراحة والرفاهية، والصوف الملون يتساقط من هوادجهن، حتى إذا بلغن الماء حططن رحلهن"[4].

---

[1] ـ العشماوي، النابغة الذبياني، ص 241.
[2] - زهير، الديوان، 103-105.
[3] - عامر، أحمد فتحي، مرآة الشعر الجاهلي، دار المعارف الإسكندرية، ص 346.
[4] - النص، إحسان، زهير بن أبي سلمى حياته وشعره، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تعددت صفات الجمال الحسي في الشعر الجاهلي، فقد تغزل الشعراء بـــالمرأة بمظاهر جمالية عدة، فوصفوا طولها وخصرها ولون بشرتها وغيرها من الـــصفات التي تجذب الرجل للمرأة بشكل عام.

ومن ذلك قول امرئ القيس يصف محبوبته: [1]

وبَيْضَـــةِ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَـــا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَـلِ
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً وأهوال مَعشرٍ عَلَّي حِرَاصٍ لَوْ يُشِرُّوْنَ مَقْتَلِـــي
مُهَفْهَفَـــةٌ بَيْضَـــاءُ غَيْرُ مُفَاضَـــةٍ تَرَائِبُها مصْقُولَةٌ كَالـــسَّجَنْجَـــلِ
كَبِكْرِ مُقَـــانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْـــرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الماءِ غَيرُ المُحَلَّـــلِ
تَـــصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيْلٍ وَتَتَّقِـــي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِـلِ
وجِـــيْدٍ كَجِيْدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِـــشٍ إِذَا هِـــيَ نصَّتْـــهُ وَلاَ بِمُعَطَّـــلِ
وفَـــرْعٍ يغشى المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِـــمٍ أَثِيْـــثٍ كَقِـــنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِـــلِ
غَـــدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُـــلاَ تضِلُّ المداري في مُثَنَّى وَمُرْسَلِ
وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصَّـــرٍ وساقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّـــلِ
تُضِـــيءُ الظَّلاَمَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَـــا مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِـــبٍ مُتَبَتِّـــلِ
وتُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَـــا نَئُوْمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ
إِلَى مِثْلِهَـــا يَرْنُو الحَلِيْمُ صَبَابَـــةً إِذَا ما اسبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ

فمحبوبته لطيفة الخصر ضامرة البطن، بيضاء صدرها متلالـــئ بّـــراق مثـــل المرآة في نقائه وبياضه، وهي مثل بيضة النّعام التي تخالط بياضها صفرة يـــسره، وهذا المزيج من اللونيين أجمل ألوان بشرة المرأة عند العرب وإن كان نادراً، فهـــو يرى ترائبها مصقولة كأنها مرآة، وتغنى بعينها عين بقرة وحشية مـــن وجـــرة ذات طفل عالقة عليه، وهي ترنو إليه بعينيها الواسعتين الجميلتين فيكون ذلك أدعى إلـــى العطف والشفقة، أما الجيد فهو كجيد الظبي دقة وطولا، وشـــعرها كثيـــف طويـــل منسدل على ظهرها، له ذوائب، مثل عنقود النخلة الملتف بعضه حول بعض وأمتاز شعرها بلونه الأسود الفاحم كأنه في تجعده أغصان نخيل، وأما ظهرهـــا وســـاقاها فهما من الإبداع في التكوين كرمام الناقة ونبات البردي الأبيض الجميـــل المـــروي

[1] - امرؤ القيس، الديوان، 13-15.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المنعم بين أشجار النخيل، ثم هي كريمة تنام الضحى ويفوح المسك من فراشها وهذه المرأة متنعمة مترفة، فهي لم تشهد عليها نطاقاً لتعمل لأن هناك من يقوم بخدمتها، ولهذا فأصابعها بيضاء مثل شجر الاسحل الذي يستاك به[1]، وفي هذا الوصف تبدو صورة الذوق الجمالي للمرأة كما رأها الشاعر.

لقد جعل امرؤ القيس المرأة غاية لا يتيسر للمرء نوالها إلا إذا غامر بنفسه وواجه الأخطار، وكيف صار الحب بما يعنيه من غزو قلب المرأة ووصالها بعد التغلب على الحراس الأشداء.[2]

وقد وصف امرؤ القيس امرأة مخدورة مكنونة، لا تبرز للشمس ولا تظهر للناس، ولا يستطيع أحد أن يصل إليها لعزلتها ومنعتها.[3]

كما حرص امرؤ القيس على وصف كل جزء في محبوبته وبين خطوط هذا الجمال التي تفتن الرجل الجاهلي من عيون وشعر، وغيرها من الصفات، وليس غريباً أن يركز امرؤ القيس على ذكر مثل هذه الصفات، فقد تعددت علاقاته بالنساء وتنوعت. وقد احتلت المرأة مكاناً ظاهراً في شعره وقلما تخلو قصيدة أو مقطوعة من ذكرها حتى في إبان محنته والآمة فهي عروس شعره ومصدر من مصادر إلهامه وراحة قلبه ومطلقة لسانه.[4]

ومن أجمل ما وصفت به الحبيبة ما جاء في قول طرفة بن العبد في خولة حيث وصف كُحلَ العينين، وجمال الشفتين وطول الجيد وحسنه، واشرافة الابتسامة، فأسنانها أقحوان خرج نوره من دعفن ندي، وقد أضاف طرفة هذا الأقحوان إلى الدّعص الندي إمعانا منه في المحافظة على أسنان محبوبته وجعل بريقها لازماً لا يرمم، أما وجهها فنقي تعكس نضارة الشمس وضياء الشمس فقد كسبته من النضارة والجمال[5]، يقول:[6]

---

[1] - عبدالعزيز، صراع الإنسان ضد وحش الصحراء ص 401، وصديق، المعلقات السبع، ص 73-74.

[2] - السيوفي، عصام، المرأة في الأدب الجاهلي، دار الفكر، بيروت، ص 1، 1991، ص 27.

[3] - عامر، مرآة الشعر الجاهلي، ص 32.

[4] -الحاوي، الصورة الفنية في شعر امرئ القيس، ص 222.

[5] - صديق، المعلقات السبع، ص 74.

[6] - طرفة، الديوان، 26-27.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وفي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظَــاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ
خَــذُولٌ تُرَاعِــي رَبْرَباً بِخَمِيلَــةٍ تَنَــاوَلُ أَطْرَافَ البَرِيْرِ وتَرْتَدِي
وتَبْسِــمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَــوَّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ لَهُ نَــدِ
سَقَتْــهُ إِيَاةُ الشَّمْــسِ إلاّ لِثَاتِــهِ أُسِــفَّ وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِــدِ
ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِدَاءَهَا عَلَيْــهِ نَقِيِّ اللَّــوْنِ لَمْ يَتَخَــدَّدِ

ويعلق أنور أبوسويلم على هــذه الأبيــات مــن ناحيــة تــصوره للــشمس فيقول:"والمرأة فاتنة ثغرها تنمُّ عن ابتسامة تشبه أقحوانة بيضاء، انبثقت من رملــة طاهرة ندية، وجمال ثغرها ووجها المصقول من ركاب من الشمس لمعبودة، فهــي التي يسقيها أسنانها ماء الحياة وأتيت ثياباها فجاءت لامعة براقة في ثغر ألمى طبيعةً وخلقةً لا صناعة وتكلفاً وتحملاً، وقد أكسب شعاع الــشمس ثغــر خولــة إشــراقاً ونضارة، وكأنما أصبح ثغرها مصدراً للإشعاع والنور".[1]

لقد صور طرفة جمال محبوبته وخصوصاً جمال ثغرها في بياضه ورائحتــه العطرة دائماً وهذه من الأوصاف المفضلة في المرأة العربية أيضاً.

وتعددت النماذج في وصف المرأة عند الشعراء الجاهليين حتى أتوا على كــل صفاتها، ومن ذلك ما جاء في قول الأعشى: [2]

ودِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحــلُ وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرجــلُ
غرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عَوَارضُها تمشي الهُوينَا كما يمشي الوحلُ
كأنَّ مِشيَتَها من بيتِ جارتــهــا مرُّ السحابةَ لاريثٌ ولا عجــلُ
تسمعُ للحَلي وسواساً إذا انصرَفت كما استعانَ بريحٍ عشرقٌ زَجِلُ
صفرُ الوِشَاح و ملءُ الدِّرْعِ بهكنةٌ إذا تَأَتّى يكادُ الخصرُ يَنخَــزِلَ
نعم الضَجيعُ غَداةَ الدّجنِ يَصرَعُهَا لِلَذَّةِ المرءِ لا جَافٍ و لا تَفــلُ
إذا تقومُ يَضُوعُ المسكُ أصــــورَةً والزَّنبقُ الوردُ من أردَانِها شَمِلُ

"فالمرأة عند الأعشى تمثال للجمال يرسمه شعره في إتقان وبراعة، فهي طويلة غير سرف، واضحة الجبين، مجلوته، ينسدل شعرها عليها، لم يكدر جمالها طفح أو

[1] - أبوسويلم، مظاهر من الحضارة والمعتقد، ص 18.
[2] - الأعشى، الديوان، 130-131.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بقع البثور، وحين تسير فلا تسرع وإنما تمشي شبه من برجله ألم وهو يخوض في وحل، وربما اكتناز اللحم عليها، وحين تتصرف تسمع أصوات الحي منبعثة في طرب وإمتاع، وهي ذات نعمة لديها من يكفيها العمل ويقوم على خدمتها فإذا ما انتوت زيارة جاراتها تشددت وتحملت ولولا ذلك لغلبها الكسل، لأنها تؤثر الراحة وتفضل السكون وهي مع ذلك رشيقة فخصرها نحيل دقيق، وأردافها كبيرة بارزة مع ضخامة وعظم، لو حاولت أن تعمل شيئاً في رِفقٍ ودعه يكاد خصرها ينقطع".[1]

وذكر الأعشى اسم محبوبته وأشار إلى صفاتها وما فيها من جمال ينجذب إليها.

ومن الشعراء من تغزل بمحبوبته وبين حزنه وأرقه لها ثم أدخل لواعج الحب بفخره وحربه ووصفه لشجاعته، ومن هؤلاء عنترة بن شداد، فعبلة رافقت عنترة في شعره الغزلي وفخره وحماسته وذكر حروبه، فإنما هو يفتخر ويغامر من أجلها، فهو يسعى لإرضائها بوصف شجاعته، وسخائه وعفته وذكر معاركه ومشاهده حتى إذا قرن اسمها باسمه تستطيع أن ترفع رأسها به[2] يقول:[3]

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فإِنَّنِي ... سَمْحٌ مُخَالطَتِي إِذَا لم أُظْلَمِ

وإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ ... مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعمِ العَلْقَمِ

هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ ... إِنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي

ويبدو الذوق الجمالي في وصفه مقبلها حيث يقول:[4]

إِذْ تَسْتَبِيْكَ بِذِي غُروبٍ وَاضِحٍ ... عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذِيذُ المَطْعَمِ

ثم يصف عيني عبلة وابتسامتها العبقة، وعفافها اللذيذ، ثم يشبه ابتسامتها بالروضة[5]، فهو يصفها وصفاً حسياً، فقد وصف طعمها وما يفوح من طيبها وغيرها من الصفات.وهذه الأوصاف في مجملها أوصاف حسية في المرأة تعكس السمات الجمالية التي ارتضاها الشعراء في المرأة.

---

[1] - عجلان، عناصر الابداع في شعر الأعشى، ص 90-91.
[2] - البستاني، الشعر الجاهلي، ص 82-83.
[3] - عنترة: الديوان، ص 19.
[4] - عنترة: الديوان، ص 15.
[5] - أبوسويلم، أنور، دراسات في الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ودار عمار الأردن، ط1، 1987. ص 17-18.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

3.3 أوصاف معنوية:

اهتم الشعر بوصف مفاتن المرأة ومواطن الإغراء فيها، ولكن ذلك لم يصرف بعض الشعراء عن ذكر دور المرأة ووصفها بصفات معنوية، ومن ذلك ما جاء في ذكر المرأة التي تقف بجانب قومها في ميدان المعركة، إذ كانت كثير من القبائل تعمد إلى اصطحاب نسائها في الحروب، لما لهن من دور كبير، فضلاً عن الخدمات الكثيرة التي كانت تقدمها المرأة لقومها، فهي رمز القوة المعنوية يستلهمها القوم في ساعات الشدة والضعف، ويستمدون عزماً من رؤيتها إلى جانبهم فتثور فيهم الحماسة والشجاعة، وتلك هي الحقيقة التي سجلها عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته[1] فقال: [2]

عَلَى آثَارِنَا بِيْضٌ حِسَانٌ نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُوْنَا
أَخَذْنَ عَلَى بُعُوْلَتِهِنَّ عَهْداً إِذَا لاَقَوْا كَتَائِبَ مُعْلِمِيْنَا
لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاساً وَبِيْضاً وَأَسْرَى فِي الحَدِيْدِ مُقَرَّنِيْنَا
تَرَانَا بَارِزِيْنَ وَكُلُّ حَيٍّ قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِيْناً
إِذَا مَا رُحْنَ يَمْشِيْنَ الهُوَيْنَا كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُوْنُ الشَّارِبِيْنَا
يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُوْلَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُوْنَا

اختلفت صورة المرأة اختلافاً واضحاً عند عمرو بن كلثوم فلم تعد مجرد متاع ولهو ووصف، لكنها أصبحت مساعدة للرجل تحفزه وتسير على خطاه.

وهي تواكب الفرسان إلى ساحة الوغى ممتطية ناقتها فتؤنسهم بحضورها الفتان وتغمر نفوسهم بنشوة الجمال والحب وتثير نخوتهم الى القرع والغلاب، فتوعده إياهم بالتمنع عنهم وضجرهم إذا لم يمنعوها ويحموها.[3]

والشعر حافل بتصوير الحماسة التي كانت تتمشى في نفوس الرجال من الظعائن، وحافل بالفخر بحمايتهن من السبي.[4]

---

[1] - القبيلة في الشعر الجاهلي، ص 314.
[2] - عمرو بن كلثوم: الديوان، ص 86-87
[3] - السيوفي، المرأة في الادب الجاهلي، ص 22-23.
[4] - الحوفي، أحمد محدم، المرأة في الشعر الجاهلي،دار النهضة مصر للطباعة، القاهرة، ص 455.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما عن حياء المرأة فهو وثيق الصلة بعفتها، بل إن الحياء يتناول ما لا تتناوله العفة، فهو أعم منها، فقد تكون المرأة عفيفة، لكنها تبدي محاسنها للرجال، وتبسم لهم، ولكن المرأة الحيية لا تفعل ذلك، وحياء المرأة من مكملاتها في نظر الرجل، لأنه دليل على عفتها ومنعتها وأنوثتها، وقد أعجب به العرب لأن أخلاقهم قائمة على الغيرة والعفة والإشارة بالمرأة المستكملة لصفات الأنوثة، ومن حيائها أن لا تسقط أخبار جيرانها ولا تتجسس على دخائلهم[1]، وقد قال في ذلك الأعشى: [2]

ليست كمن يكرهُ الجيرانُ طلعتها ولا تراها لسرِّ الجارِ تختتلُ

لقد ذكر الأعشى صفة من صفات المرأة المعنوية، فالشعراء لم يهتموا بالصفات الجسدية فقط، فالأعشى أغرق في وصف المرأة حسياً لكن ذلك لم يمنعه من وصف صفاتها المعنوية.

ومن الشعراء من ينظر إلى المرأة على أنها الحياة بكل ما فيها، فهو يصبو إليها كما يصبو للحياة[3]، وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص: [4]

تَصْبو وأنَّى لكَ التَّصابي أنَّى وقَد راعَكَ المَشيبُ

وهذا البيت يبين أهمية المراة (معنوياً وجسدياً) فالشاعر جعلها كالحياة.

4.3 المرأة لباسها وزينتها:

اهتمت المرأة الجاهلية بمظهرها وبكل ما يزينها من لباس وحلي وطيب ووشم وغيرذلك مما عرفته من طرق التجميل، فهي تريد أن تكون دائما الأجمل ولذلك نرى أنواعاً مختلفة من الألبسة التي تلبسها المرأة في الشعر، ومن ذلك البُرد وهو ثوب موشى، والمجسد وثوب مصبوغ بالجساد وهو الزعفران[5]، وفي ذلك يقول طرفة بن العبد منبهاً إلى جمال لباس القّينة:[6]

نَدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُومِ وَقَيْنَةٌ تَرُوحُ عَلَينَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ

---

[1] - الحوفي، أحمد محمد، الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم، بيروت، ص 84.
[2] - الأعشى: الديوان، ص 131.
[3] -يوسف، ، أنظر عالم المرأة، ص 61.
[4] - الابرص: الديوان، ص 24.
[5] - الحوفي، الغزل في الشعر الجاهلي، ص 121.
[6] - طرفة: الديوان، ص 32.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

رَحِيْبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَقِيْقَــةٌ بِجَــسِّ النُّدامَى بَضَّةُ المُتَجَــرَّدِ

والبُرد من الملابس التي تبرز مفاتن الجسم.[1]

وذكر من أنواع الملابس الدرع (الوشاح من اللباس المرصع بالجواهر)

صِفُر الوشَاحِ، وملء الدِرع بَهكنةٌ إذا تأتى يكادُ الحضرُ ينخزلُ[2]

المرط أو الربط وهو من الملابس التي تصنع من الصوف أو الخــز وهــو طويل ينجر على الأرض[3]، يقول في ذلك امرؤ القيس:[4]

خَرَجْتُ بِهَا تَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَــا عَلَــى أَثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحّلِ

ويتحدث الشعراء الجاهليون كثيراً عن لباس النساء المترفات أو ممن هن من الطبقة المترفة، إذا اختصت المرأة المنعمة بملابس خاصة ومادتها الأولية التي كانت تصنع منها هي الحرير وأشكالها وأنواعه المختلفة والدمقس المفتل. [5]

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَي مَطِيَّتِــي فَيَا عَجَباً مِنْ كُوْرِهَا المُتَحَمَّــلِ

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَــا وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّــلِ[6]

5.3 الحلي:

اهتمت المرأة في العصر الجاهلي بالحلي الذي تزين بها رأسها وعنقها ويديها وحتى القدمين، وهي تبرز في هذه الحلي جمالها وترفها وزينتها.

فحلي المرأة من أخص خصائصها في كل عصر، تضيف به إلــى جمالهــا جمالاً وتزهى به وتفاخر، وتفتن ألباب الرجال، وقلما تبدو المراة عاطلاً من الحلي، وإن قيل لها إنها غنيت بجمالها عن حليها.[7]

---

[1] - المبيضين، مظاهر الحضارة المادية في الشعر، ص 33.
[2] - الأعشى، الديوان، 131.
[3] - الحوفي، الغزل في الشعر الجاهلي، ص 120.
[4] - امرؤ القيس: الديوان،ص 14.
[5] - المبيضين، مظاهر الحضارة المادية، ، ص 51.
[6] - امرؤ القيس: الديوان، ص 11.
[7] - الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، ، ص 131.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والشعر الجاهلي غني بذكر حلي المرأة التي تبدو به فاتنة، فمنها اللؤلؤ والزبرجد والخلخال وغيره، (فالمرأة تخرج بأبهى حللها وكامل زينتها).[1]

ومن أنواع الحلي: الجزع وهو من الخرز اليماني، وفيه بياض وسواد تُشبه الأعين واحدته جزعه[2]، يقول امرؤ القيس: [3]

فَأَدْبَرْنَ كَالجزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بِجِيْدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيْرَةِ مُخْوَلِ

ومن الحلي القلادة وقد حظيت بجانب وافر من الشعر الجاهلي وتصنع من الفضة والذهب والأحجار الكريمة، والزبرجد واللؤلؤ، وترد لفظة العقد بمعنى القلادة[4]، وفي ذلك يقول طرفة بن العبد: [5]

وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

فالسمط هو الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ والزبرجد ويصبح بذلك قلادة.

والخلخال من أبرز أنواع الحلي الذي ورد ذكره في الشعر العربي، وهو من الحلي التي تحمل به المرأة ساقها ويكون من ذهب أو فضة يسمع له صوت إذا مشت وهذا الصوت له أثره في قلب الرجل.وقد جاء الحديث في الشعر الجاهلي عن الخلخال في معرض حديثهم عن مفاتن المرأة الممتلئة الساقين التي لا يتحرك خلخالها[6]، ومن صور ذلك في قول عمرو بن كلثوم في وصف ساقي محبوبته فيصفهما بالبياض والامتلاء[7]:

وسَارِيَتِي بَلَنْطٍ أَو رُخَامٍ يَرِنُّ خَشَاشُ حَلِيهِمَا رَنِيْنَا[8]

لقد بين مع جمال ساقيها جمال زينتها وحليها، فعندما تمشي تسمع لحيلها صوتاً كالموسيقى.

---

[1] - عبدالرحمن، نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، الأردن، ط2، 1982 ، ص 131.
[2] - ابن منظور، لسان العرب مادة (جزع)
[3] - امرؤ القيس: الديوان، ص 22
[4] - المبيضين، مظاهر الحضارة المادية، ص 67.
[5] - طرفة بن العبد، الديوان، ص 26.
[6] - المبضين، مظاهر الحضارة المادية، ص 61.
[7] - مرتاض، السبع المعلقات، ص 284.
[8] - عمرو بن كلثوم: الديوان، ص 69.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وممن ذكر صوت حلي صاحبته أو محبوبته الأعشى، حيث يقول في ذلك: [1]

تَسمَعُ للحَلِي وَسْوَاساً إِذَا انصرَفَتْ كَمَا استَعَانَ بريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ

ويصف الأعشى حلي محبوبته الذي تسمع له صوتاً أثناء سيرها كخشخشة نبات العشرق، قد أتت عليه هز ريح.[2]

وأشار طرفة بن العبد إلى البرين والدماليج من أنواع الحلي فقال: [3]

كَـــأَنَّ البُـــرِيْنَ والدَّمَالِيْجَ عُلِّقَـــتْ عَلَى عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ

والبرين هو الخلخال في ساق المرأة، والدماليج هي الإسوارة في العضد، هـــذه بعض أنواع حلي المرأة التي جاء ذكرها في شعر المعلقات، وهناك أصناف متعددة ومختلفة من الحلي ظهرت بالشعر الجاهلي عامة[4]، وقد كشفت هذه الأنواع عن قـــيم الذوق الجمالي للمرأة في ذلك العصر.

6.3 الطيب:

اعتنت المرأة في الجاهلية بالطيب أي العطور وأغرمت بها، واختارت منها ما يتناسب وجمالها ورقتها وترفها، وقد التفت الشعراء إلى المرأة التي اعتنت بنفـــسها واستعملت أنواعاً متعددة من الدهون والعطور، كما أعجبوا بالنساء اللـــواتي تـــزيّن بالحلي وتعطرن بأجمل أنواع العطور والرائحة التي تفوح منه أجسادهن وثيابهن.[5]

وقد تضمن شعر المعلقات وصفاً وتعددً لأنواع العطور التي استعملتها المـــرأة الجاهلية، حيث تحدث الشعراء عنها حديث المعجب والمفتون، ومن هذه الأنواع:

1.6.3 المسك:

يعد من أبرز أنواع الطيب الذي ظهر في الشعر الجاهلي، وأكثـــر الأصـــناف تردداً في أفواه الشعراء، ومن ذلك قول امرئ القيس:

---

[1] - الأعشى، الديوان، ص 131.

[2] - عبدالعزيز، حسني، حماد، صراع الانسان ضد وحش الصحراء عند أصحاب المعلقات، ص 412.

[3] - طرفة، الديوان، ص 34.

[4] - طبانه، معلقات العرب، ص 216.

[5] - المبيضين، مظاهر من الحضارة المادية في الشعر الجاهلي، ص72.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إذَ التفت نحوي تَضوَّع ريُحها نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَّا القَرَنْفُلِ[1]

وتُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِهَا نَئُوْمُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عنْ تَفضُّلِ

فالمرأة حريصة على تطييب نفسها وفراشها أيضا.

والمسك دهن يتخذ من نوع من الغزلان، يقطن في مناطق عدة كجبال الهند الشمالية ووسط آسيا، وللمسك شهرة وقيمة عند العرب لأنه هو العنبر قوي الرائحة، وأهل الشرق أميل إلى استعمال العطور القوية لأنها هي التي تلائم الجو الحار، والرجال يحبون رائحة المسك في المرأة، ويمدحونها بأنها ممسكة، لأن هذا دليل النظافة والتجمل والثراء[2]، ويظهر أن المرأة المترفة هي التي كانت تتطيب بالمسك، ولذلك أكثر الشعراء من وصفها.[3]

وقد أشار عنترة إلى المسك والوعاء الذي يحفظ به.[4]

وكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيْمَةٍ سَبَقَتْ عوَارِضَها إليكَ مِن الفَمِ

وكان المسك من أكثر أنواع العطور التي يعرفها القوم، وكانوا يحرصون على اجتلابه أثناء رحلاتهم التجارية.[5]

2.6.3الزنبق

وهو دهن الياسمين، له لون أصفر حسن الرائحة، وكانت المرأة تتطيب يه كما تتطيب بالمسك وقد تجمعهما معاً، يقول الأعشى في ذلك:[6]

إذا تقومُ يَضُوعُ المِسكُ أصورَةً والزنَبقُ الوَرَدُ من أردَانِها شمِلُ

فقد اهتم الأعشى برائحة المرأة، فإذا سارت تضوع العطر حيث تحل ويفوح المسك في كل مكان تنزل به[7]، واختار الروضة لأنها من الأماكن المرتفعةأكثر نشرا وطيباً، وتلك الروضة ليست أطيب من رائحة محبوبته.[8]

---

[1] - امرؤ القيس:، الديوان، ص 15.
[2] - الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، ص 134.
[3] - المبيضين، مظاهر من الحضارة المادي في العصر الجاهلي، ص 7-8.
[4] - عنترة: الديوان، ص 16.
[5] - العمري، السمات الحضارية في شعر الأعشى، ص 336.
[6] - الأعشى: الديوان، ص 131.
[7] - عجلان، عناصر الإبداع في شعر الأعشى، ص 90.
[8] - عبدالعزيز، صراع الإنسان ضد وحش الصحراء، ص 412.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

7.3 الوشم

يعد الوشم من مظاهر الزينة عند الجاهلي، فقد كانت تضعه المرأة من باب الزينة على ذقنها ورجلها ويديها، وهو من أنواع الزينة التي لا تزال، وجاء ذكره في الحديث عن الأطلال التي لا تزول يقول في ذلك طرفة بن العبد: [1]

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

ويقول زهير بن أبي سلمى: [2]

أُمِّن أم أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

والوشم هو: غرز بالإبر في الجلد ثم يذر عليه الكحل أو النؤور[3]، فيبقى ظاهراً، وهذا السواد الذي نتج عنه هو الزينة، ويصف لبيد المرأة التي تتزين بالوشم بقوله: [4]

أَوْ رَجْعُ وَاشِمَةٍ أُسِفَّ نَؤُورُهَا كِفَفاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وِشَامُهَا

فالواشمة هي التي تشم يدها، وتضرب بها الإبره وتحشوها نؤوراً والنؤر حصاة إثمد تستعمل في الوشم، تدق لتصير مثل الكحل.[5]

8.3 مراكب النساء وخدورها:

فرضت طبيعة البيئة الصحراوية التنقل بحثاً عن الكلأ والماء، وفي هذا الرحيل كانت المرأة تنتقل مع باقي نساء القبيلة، وكان لها مركب خاص هو الهودج تنتقل به على ظهر الناقة من مكان إلى آخر، وكان هذا الهودج يزين بأصناف مختلفة من الكلل والأقمشة توضع عليه الزينة، وتغطية المرأة، وقد ذُكِر هذا الهودج في كثير من الأشعار الجاهلية، ومن ذلك وصف زهير موكب النساء فوق الهودج:[6]

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ وَرَادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ

---

[1] - طرفة، الديوان، ص 35

[2] - زهير، الديوان، ص 102.

[3] - الشيباني، شرح المعلقات، ص 83.

[4] - لبيد، الديوان، ص 299.

[5] - الشيباني، شرح المعلقات، ص 156.

[6] - زهير، الديوان، ص. 104-105.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ظَهَرْنَ مِنْ السُّوْبَانِ ثُمَّ جزَعْنَـــهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِـــيٍّ قَشِيْبٍ ومُفْـــأَمِ
وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَـــهُ عَلَيْهِـــنَّ دَلُّ النَّـــاعِمِ المُتَنَعِّـــمِ
كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْـــزِلٍ نَـــزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّـــمِ

وكثيراً ما استرعت فُرس الحدوج أي (الهودج) وأغطيتها أنظـــار الـــشعراء، وقلوبهم وأجمعوا على أن غطاء الهوادج أحمر، ويظهر أنه كان أحب الألوان إلـــى العرب وهو منقوش طولاً وعرضاً، ومن علامات ترف المـــرأة وغناهـــا أن يكثـــر غطاء الهودج وأستاره.

توضع علا الهودج الأنماط وهي ما يطرح على الهودج مـــن ثـــوب ونحـــوه، والكلل ما يوضع فوق الهودج أيضاً، وكذلك فتات العهن وهو الـــصوف المـــصبوغ الذي يعلق على الهودج لزينة[1]، وقد وصف نصرت عبدالرحمن موكب المرأة وهي في الهودج كأنه موكب عرس.[2]

ومن صور الهودج التي وردت في شعر المعلقات ما جاء في قول لبيد: [3]

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطُنَاً تَصِرُّ خِيَامُهَـــا
مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْـــهِ كِلَّـــةٌ وَقِرَامُـــهَـــــا

فظعن النساء في الهودج المحفوف، أي الذي حف بالثياب والكلل وهي الستائر الرقيق وقرام وهو ما يعطي به وكأنه يقصد به تغطية الهودج.[4]

وهذا الهودج الذي يغط بالأستار يبين مدى اهتمام الجـــاهلي وحرصـــه علـــى المرأة وعدم رؤيتها فيخفي هودجها بالأستار، ومما يدل على ذلك أن امـــرأ القـــيس أراد الدخول إلى خدر عنيزة أي هودجها، لأن هذا المكان لا يجوز دخوله من قبـــل الرجال، وفي ذلك يقول الشاعر:[5]

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْـــزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

هذه بعض الصور لمراكب النساء وما يكون بها من الزينة والكلل والأستار.

---

[1] - الشيباني، شرح المعلقات، ص 127.
[2] - عبدالرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ص 131.
[3] - لبيد، الديوان، ص 300.
[4] - الشيباني، شرح المعلقات ، ص 158.
[5] - امرؤ القيس، الديوان، ص 11.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

9.3 المرأة القيّنّة

القينة هي الأمة المغنية، من التقين وهو التزين، وقيل للمرأة مغنية إذا كانت تزين النساء، شبهت بالأمه، لأنها تصلح البيت وتزينه، وقيل القينة الأمة مغنية أو غير مغنية، والقينة الجارية التي تخدم والأمة غنّت أو لم تغنِّ.[1]

والأغلب أن القينة غير عربية، لأن العربية مكفولة الرزق من قبل زوجها وإما كاسبة رزقها بأعمال غير الغناء، وما من شك في أن الغناء يقتضي من المرأة المغنية أن تتزين للسامعين، وأن تبرز مفاتنها وأن تكون محط أنظارهم ومجمع أشتاتهم كما يتحدث الشعراء.[2]

لقد اختلفت المرأة القينة عن الحرائر في العصر الجاهلي، فلم تكن لها كرامتها مثل الحرة، وكذلك أولادها فيعانون في الحصول على النسب مثل عنترة بن شداد، وقد عبر الشعراء عن القيان في اشعارهم ومايتصفن من حركات ولباس وحب للشرب.

وكثيراً ما احتفى الشعراء بجمال قيانهم، فوصفوا محاسن أجسادهن ورحابة أصواتهن ولباقة حركاتهن وفي ذلك يقول طرفة بن العبد: [3]

نَـدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُـومِ وَقَيْنَـةٌ ... تَرُوحُ عَلَينَا بَيْـنَ بُرْدٍ وَمُجْسَـدِ

رَحِيْبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَقِيْقَـةٌ ... بِجَـسِّ النُّـدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

إِذَا نَحْـنُ قُلْنَا أَسْمِعِيْنَا انْبَرَتْ لَنَا ... عَلَـى رِسْلِهَا مَطْرُوقَةً لَمْ تَشَدَّدِ

إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَهَا ... تَجَـاوُبَ أَظْآرٍ عَلَى رُبَـعٍ رَدِدِ

"يقول طرفة أن قينتهم تسمعهم الغناء وهي لابسة ثوباً مزعفراً واسع الصدر، وإنها حاذقة تلبي رغبات السامعين والنشاوى، وهي بضة الجسد، تغني في غير تكلف أو إجهاد، لأنها مطبوعة ماهرة يزيدها جمالاً تفتُّر عينها وتكسّر نظراتها، وإن صوتها الحلو مطرب فيه حنين وشجا"[4]

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب مادة قين.
[2] - الحوفي، المرأة في العصر الجاهلي، ص 564.
[3] - طرفة بن العبد، الديوان، ص 32.
[4] - الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص 574.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويعلق بدوي طبانه على هذه الأبيات بقوله: "وفيها إشارة إلى الجواري المغنيات، ووصف لبعض أحوالهن في مجالس الشراب يمتعن الشرب بألحانهن ومعابثتهن، يذكر طرفة ان ندماءه على الشرب بيض الوجوه أطهار الأعراض، أنسابهم خالصة، صافية من كدر الرق، وأن القينة الجارية المغنية، تردد بينهم وقد سترت جسدها ومُجْسد، والمجسد هو الثوب المصبوغ بالزعفران، والمجسد أيضاً هو الثوب الذي يلي الجسد، وهو الشعار، وهو واسع الجيب، وهو المحل الذي يخرج منه الرأس، وإذا كان الجيب واسعاً بان العنق، وأنكشف معه شيء من الصدر، فالندامى يرون عنقها وبعض صدرها، وإذا مسها أحد من الندامى لم تمتنع عنه، فهي مواتية، وإذا مسّت واحداً منهم لم تزعجه بمسها وهي ناعمة الجسم، وقال بعضهم: إن مس الندامى هو ما طلبوا من غنائها ويقول طرفة: إن هذه الجارية حاذقة عارفة بما يطرب له الندمان من الغناء، فهي تغنيهم به، على رسلها تؤده، وبصوت فيه لين وفتور، لم تتشدد فيه ولم ترفقه بقوة فتزعج السامعين إذا رددت صوتها في حلقها وترنمت فيه حلتها نوقاً فقدن أولادهن فهمن يبكين عليهم، أو نساء قمن في مأتم يبكن على هالك يريد أنها قادرة على تصريف صوتها".[1]

ومن وصف حركة القينة في مجلس الشراب يقول طرفة: [2]

فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيْدَةُ مَجْلِسٍ تُرِي رَبَّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ

وفيه ما تصطنع الجارية من الفتنة لسيدها فقد شبهها طرفة وهي تتبختر بجارية عرضت هي على أهل مجلس، فقامت تتبختر وترخي أذيالها، لتري سيدها أذيالها البيض لأن سيدها إذا كان في المجلس كانت أشد مبالغة في التبختر وسحب الأذيال، لتسر فؤاده وتستدعي رضاه.[3]

تعددت النماذج في الشعر العربي بذكر القيان والجواري، وممن ذكرها في مجالس الشراب وقيامها بالخدمة قول عمرو بن كلثوم: [4]

صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِيْنَا

---

[1] ـ طبانه، معلقات العرب، ص 216.
[2] ـ طرفة: الديوان، ص 32.
[3] ـ طبانه، معلقات العرب، ص 216.
[4] ـ عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 65-66.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وَمَا شَــرُّ الثَّــلاَثَةِ أُمَّ عَمْــرٍو بِصَاحِبِكِ الذِي لاَ تصْبَحِيْنَــا

وقد يذكر اسم قينة بعينها ويولع بها مثل ذلك قول الأعشى:

ودِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ

فيقال أن هريرة قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد، أهداها إلــى قــيس ابن حسان بن ثعلبة بن عمرو بن مرثد.[1]

ويذكر الأعشى لباس بعض النساء في مجالس الخمر فيقول:

والساحبات ذيول الــمــريط آونة والرافلات على أعجازها العجل

أي لاسبات ملابس طويلة، النساء اللاتي يرفلن ثيابهن أي يجرونها.[2]

تعددت صور المرأة في الشعر الجاهلي فذكروها زوجة مثل أم أوفي وحبيبة مثل عبلة، وجارية وقينّة، وابنة اخ مثل ابنة مصير عن طرفه، وذكروا صفاتها فــي الشجاعة والمشاركة في الحرب بجانب الرجال.

وقد تميز امرؤ القيس بالحديث عن المرأة في شعره وخصوصاً في المعلقــة فقد ذكر لها صوراً متعددة وقد "يعرض لها في ثلاثة ألوان متذكراً ومتأملاً وماجنــاً، وفي الأولى يأس على أيامه الخوالي معها، ويكوّن هذا الجانب جزءاً مــن مقدمتــه الطللية والثانية مخلوقاً جميلاً رقيقاً يصفه ويستغرق في وصفه، والثالثة جعلها مناط مغامراته، مغامرات قد يكون فيها ضائعاً، أو صانعاً وفيه يصور المرأة مثلاً أعلــى للجمال".[3]

وممن عرض للمرأة صورة المحب الدائم لها والشغف بها عنترة فقصته مــع ابنة عمه عبلة كانت وراء فروسيته ومحاولة إثبات مقدرته الحربية ليكون اهلاً لها، فالمرأة صورة جميلة يراها الفارس فيحميها، ويعمل جهده للحصول عليها ويتمثل له مفهوم البطولة في نجاح موهبته.[4]

---

[1] - الشيباني،شرح المعلقات العشرللتبريزي، ص 35، والحوفي،المرأة في االشعر الجاهلي ، ص 563.

[2] - الشيباني، شرح المعلقات العشر ، ص 311.

[3] - مكي، امرؤ القيس حياته وشعره، ص 182.

[4] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 95.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن ذلك ما جاء في شعر عمرو بن كلثوم الذي رسم صورة للحبيبة التي يرتئيها، وذلك في ثنايا الفخر، ما يؤكد ان شعراء الجاهلية كانوا يقدمون كفاءات لمحبوبتهم تدل على أنهم جديرون بالمحبة، وأهم تلك الكفاءات البطولة التي دفعت عمرو إلى إيراد غزله في ثنايا الفخر.[1]

فعنترة وعمرو افتخرا وكأنما أرادا لهذا الفخر الوصول إلى قلب المحبوبة، فقد تكون ذات قدر مثل عبلة فحاول عنترة الوصول إليها من خلال ذكره لبطولته وإنجازاته.

لقد صورت المرأة في الشعر العربي بكل ما هو جميل في الحياة من حولهم، فتغنوا بها ووصفوها في شعرهم ومن ذلك اتضحت تلك الأهمية بها، رغم ما كانت تعانيه من وأد وسبي وغيره وخصوصاً منزلة المرأة الحرة وصعوبة الوصول إليها بسهولة.

[1] - صديق، المعلقات السبع، ص 75.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الرابع

مظاهر القيم والمثل العليا

من المظاهر التي برزت بشكل واضح في شعر المعلقات القيم والمثل العليا التي تحلى بها العربي في العصر الجاهلي، وقد فرضت طبيعة الحياة الجاهلية آنذاك وجود قيم الشجاعة والكرم والفروسية وغيرها.

ولولا وجود هذه القيم واستحالت الحياة في هذه الصحراء الموحشة المقفره، وقد فرضت الصحراء على العرب أخلاقاً خاصة، وألزمتهم بتقاليد لا يستطيعون عنها حولاً، ثم صار لهم على مر السنين جبلة وفطرة، صورت لهم عنواناً بين الناس، فجدب الأرض وحياة التحرك والاحتكاك وتلك الحروب بينهم التي كانت تجعل غالب الأمس مظلوم اليوم، أجبرتهم على الاعتراف بهذه القيم والمثل التي عملوا بها.[1]

والحياة القبلية وما فيها من ولاء إلى الجماعة، جعلت الفرد يتأثر بأخلاقها ومثلها وعاداتها وتقاليدها، والتي كانت تمثل عند الجاهليين دستوراً قيماً ينظم حياتهم، وبمقدار تمسك الفرد بهذا الدستور يشعر بالقبول الاجتماعي من المجتمع، وعليه فقد كان الفرد في القبيلة مُقيداً بسلوك لا يحيد عنه، فرغبته في الانتماء والتعايش الاجتماعي، يدفعه إلى الالتزام بمثل تلك المثل واليقين بها، وإن كلفه ذلك أن يضحي بأعز ما يملك، وهكذا فإن الإنسان بطبعه ميال إلى حب الظهور، والتفوق، لذا كان الالتزام بقيم القبيلة ومثلها، ميدان تنافسه وإعلاء شأنه وتحقيق وجوده، فضلاً عن تأصل بعض الأخلاق الفاضلة في نفوس بعضهم.[2]

وقد حفل الشعر العربي بتلك القيم فافتخر الشعراء ويتباهو بها، وأنكروا من لا يلتزم بها من أفراد القبيلة وعيروه بذلك، وقد تعدد تلك الفضائل التي يمكن دراستها وفقاً للآتي:

---

[1] ـ عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص314.

[2] ـ دراوشة، صلاح الدين أحمد، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديوان المفضليات والاصمعيات، مكتبة الفجر، الأردن، ظ1، 2001، ص 21.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

1.4 الكرم:

من أعظم القيم الإنسانية وأشدها أثراً ونفعاً في حياة الجاهليين، فقد جعلهم يتنازلون عن مالهم ومتاعهم وطعامهم، لمن يعرفون ولا يعرفون، ينفقون ذلك وهم بأمس الحاجة إليه، نفوسهم راضية بذلك، بل يُسَّرون أيَّما سرور لأنهم يعتبرون ذلك واجباً مقدساً يقومون بتأديه[1]، ولازمة من لوزام حياتهم بكل ظروفها .

وقد كان يدفعهم إلى ذلك أنهم كانوا يحيون في بادية شحيحة بالزاد، وحياتهم ترحال وتجول، فكل واحد منهم معرض لأن ينفد زاده، فهو يقرى ضيفه اليوم لأنه سيضطر إلى أن يضاف في يوم، ثم هم يكرمون لنيل الإطراء والثناء، ولأنهم ذوو أريحية وحساسية، تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاج وإطعام الطعام.[2]

فالكرم العربي مدعاة للشرف الرفيع والمكانة المرموقة، ومن أبرز ما رسّخ قيمة الكرم في نفوس العرب في ذلك العصر، موقفهم من المال المرتبط بعقيدتهم الأزلية التي لم يجدوا لها حلاً، وهي نظرتهم العميقة للفناء والموت، وأن النهاية غاية كل حي، لذا فقد أسرفوا في كرمهم، وأجزلوا في عطائهم.[3]

وقد كانوا يجودون بخير ما يملكون، ويطعمون الطعام لكل محتاج، ويقدمون لهم لحم الجزور، وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة: [4]

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا ... بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الجَمِيعِ لِحَامُهَا

فَالضَّيْفُ وَالجَارُ الجَنِيبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِباً أَهْضَامُهَا

ومن وسائلهم في اجتلاب الضيف، اتقاد النار ليلاً لاستدلال الأضياف على منازلهم، فكانوا يوقدونها في الأماكن المرتفعة لتكون أشهر، وربما أوقدوها بالمندي الرطب وهو عطر ينسب إلى مندل وهي بلدة في بلاد الهند، مما يبخر به ليهتدي اليها العميان[5]، وفي ذلك دلالة واضحة على حرصهم على هذه الخصلة الحميدة.

---

[1] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 128.
[2] - الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ص 236.
[3] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 125.
[4] - لبيد، الديوان، ص 318.
[5] - الألوسي، محمد شكري، بلوغ الادب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، 1980، ص 70.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن الوسائل في اجتلاب الضيف نباح الكلاب كي يسترشد الضال الى بيوتهم، وقد استدل على كرمهم من ألف كلابهم لوافديهم، وذلك أن كلب الكريم اعتاد علـــى على مشاهدة الغرباء، وعلى النقيض من كلب البخيل لا عهد له بالغربـــاء، يغـــدون ببيت صاحبه، فيظل نباحه مستوحشاً.[1]

وكان من مظاهر الكرم عندهم أنه إذا جاءهم ضيف فرحوا به وأعزوه، وبالغوا بالحفاوة به وتقديم أفضل ما يملكون له، واستقباله بالبشر وطلاقة الوجه.

ومما يدل على إيقاد النار في المكان المرتفع ليهتدي إليها البعيد، وفـــي ذلـــك يقول الحارث بن حلزة:[2]

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَـــدَتْ هِنْـــدٌ النَـــا ... رَ أَخِيراً تُلْـــوِي بِهَـــا العَلْيَاءُ

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ العَقِيـــقِ فَشَخْصَيْـــ ... ـــنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَـــا مِـــنْ بَعِيـــدٍ ... بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلاءُ

ومن صور الكرم عندهم أيضاً الاهتمام بالأرامل والسخاء علـــيهم، واحتـــرام الجار وإكرامه، وفي ذلك يقول لبيد في معرض مدح قومه:[3]

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَـــاوِرِ فِيهِمُ ... وَالْمُرْمِلاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

وأكثر ما كانت العرب تكرم في وقت الحاجة والجدب والقحط ، وهنـــا يَهُـــب الكريم لنجدة قومه بكل ما يملك من مال، ولا يستطيع الكريم التخلي عن قومه فـــي ظروفهم الصعبة.

وقد أكثر الشعراء من الحديث عن الكريم ونفي البخل عن أنفسهم، ومن ذلـــك قول طرفة بن العبد:[4]

ولستُ بِحَلاَلَ التّـــلاعِ مخـــافـــةً ... ولكِنْ متى يَسترْفِدِ القومُ أرْفِـــدِ

ويقول طرفة أيضاً:[5]

كَـــرِيْمٌ يُرَوِّي نَفْسَـــهُ فِي حَيَاتِـــهِ ... سَتَعْلَـــمُ إِنْ مُتْنَا غَداً أَيُّنَا الصَّدِي

---

[1] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ، ص 131.
[2] - الحارث بن حلزة، الديوان، ص.20-21،
[3] - لبيد، الديوان، ص 320.
[4] - طرفة بن العبد، الديوان، ص 32.
[5] - طرفة، الديوان، ص 34.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أَرَى قَبْـرَ نَحَّـامٍ بَخِيْـلٍ بِمَالِـهِ كَقَبْـرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَـةِ مُفْسِدِ
أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيْلَـةَ مَالِ الفَاحِـشِ المُتَشَدِّدِ

فطرفة بن العبد يعلي من شأن قيمة الكرم، ويرى أن الإنسان الكريم يجـود بمالـه كحياته، والبخيل شخص منبوذ فاسد لا يستحق الحياة.

ويرى أحمد الحوفي إن لطرفة فلسفة في هذه الأبيات فيقول: "لبعضهم فلـسفة عملية صائبة مبنية على بعد النظر والتجربة، فهم لا يرون مدعاة للبخل، لأنهم لـن يموتوا جوعاً، ولأن المال الذي يخلفونه سيرثة غيرهم وقد يكون من الورثـة عـدو يتلهف ويتشوف ثم هم سيموتون وخيراً لهم أن يخلفوا ذكراً طيباً".[1]

ومن صور الكرم كرم زعماء القبائل على الناس في وقت الجدب، وكـرمهم على الناس لإحلال الصلح، فهم يدفعون أموالهم في سبيل كف القتل وقد أشار الـى كرم سيد القبيلة لبيد بقوله:

فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا[2]

ومثال ذلك أيضاً يقول زهير بن أبي سلمى في هرم بن سنان والحارث بـن عوف اللذين تعهدا بدفع ديات القتلى من عبس وذبيان فقال: [3]

سعى ساعيا غَيظ بن مرّة بعدما تَبَزَّلَ ما بين العشيـــرَة بالدَّمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ رِجَـالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِينـاً لَنِعْمَ السَّـيِّدَانِ وُجِدْتُمَـا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُـمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَـا تَفَـانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعـاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَـمِ
كِـرَامٍ فَلاَ ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَـهُ وَلا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

ويذم زهير البخيل الذي يملك المال ولا يجود به، يقول: [4]

ومن يك ذا فَضلٍ فَيَبخلْ بِفضلِهِ على قومهِ يُستَغنَ عنهُ ويُذْمَمِ

---

[1] - الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ص 246.
[2] - لبيد، الديوان، ص 321.
[3] - زهير، الديوان، 105-106.
[4] - زهير، الديوان، ص 110.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن مظاهر الكرم ما يبدو في حديث طرفة عن كرمه بوصف مشهد له مع النياق وقد حل ساحته الضيفان، فحمل السيف ليذبح إحداها، ولكن شيخاً في الحي – لعله عمه– انحنى باللائمة على طرفة وحاول أن يثير عليه الناس، ولكنه تذكر أخلاقه وأنه لا ينثني أبدا عن عزمه في إكرام الضيف فتراجع عن تأليبه، وطلب من الناس أن يردوا ما شذ من الإبل إلى أخواتها وإلا جن جنون الفتى فعقرها جميعاً، لقد ذبح طرفة الناقة وأكل الجميع من أطيابها[1] وفي ذلك يقول: [2]

وَبَرْكٍ هُجُوْدٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي ... بَوَادِيَهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ ... عَقِيْلَةَ شَيْخٍ كَالوَبِيْلِ يَلَنْدَدِ
يَقُوْلُ وَقَدْ تَرَّ الوَظِيْفُ وَسَاقُهَا ... أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيَّدِ؟
فَظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا ... ويسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيْفِ المُسَرْهَدِ

فالكرم قيمة أخلاقية سامية مجدها الجاهلي إلى حد المبالغة، وراحت القبائل على ألسنة شعرائها تتباهى به، فقد مجد العربي هذا الخلق الكريم تمجيداً يجعل من هذا الخلق حاجةً من حاجات الناس وضرورة اجتماعية، فرضتها الحياة العربية وحاجة الناس إلى ذلك.

فالكرم خلقٌ عربيٌ متأصل في القدم ومستمرٌ إلى يومنا هذا، فرغم أنه كان بسبب طبيعة الصحراء المجدبة، إلا أنه أصبح رغم المستجدات الحديثة سجية من سجاياهم.

2.4 الشجاعة والفروسية:

تعد الشجاعة خصلة من أهم خصال العربي التي يفخر ويعتز بها، حيث يدافع بها عن نفسه وقبيلته، وهي مفخرة العربي وحليته بشجاعته، يلبسها وتلبسه سواء أكان غنياً أم فقيراً، ذا قبيل أو وحيداً، وذلك أن أهل البادية متفردون عن المجتمع، بعيدون عن الحامية يعيشون في العراء غير محتمين بأسوار أو جدران أو أبواب، فهم يقومون بالدفاع عن أنفسهم ولا يكلونه إلى سواهم، يحملون السلاح دائماً

[1] ـ العتوم، المعلقات العشر، ص 270.
[2] ـ طرفة، الديوان، ص 37.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويتلفتون عن كل جانب، وإذ تقصينا حياة العربي منذ طفولته أدركنا أن الشجاعة ولدت معه وأنه شب وكبر تتمشى في دمه، وكيف لا وقد ربي في بيئة تتمدح بالبطولة والإقدام وحسن البلاء في حماية الذمار والأخذ بالثأر، وبالعدوان في كثير من الأحيان، وطالما فزع طفلاً على قعقعة السلاح وصيحات المقاتلين، وسمع الأقاصيص من شجعان القبيلة التي حموها، وردوا المغيرين عليها، أو هجموا على أخرى وأجلوها، ثم شب فرأى الرماح تشتبك ، والسيوف تتقارع، والأبطال في ميدان الوغى تتنازح، ثم كبر فشارك في المواقع، وأفنى العمر في المعارك، فلا أعجب إن كانت الشجاعة خلقاً عاماً عند العرب.[1]

ولعل الشجاعة من أبرز أخلاق العرب في العصر الجاهلي، وحرص على التمسك بها.

ولعل طبيعة الحياة العربية في الصحراء الموحشة فرضت أن يكون الإنسان فارساً مقداماُ لا يهاب حتى الموت ليدافع عن نفسه وعرضه وماله وقبيلته.

والفروسية من أبرز مظاهر البطولة الحربية، الذي تناوله شعر الفروسية، حيث فخر الفارس بقدرته على ركوب فرسه، وتصريف أمره، كراً وفراً وملاحقة وطرداً، أو إظهاراً لتفوقه في ميادين السباق مع استخدام أنواع الاسلحة المختلفة دفاعية كانت أم هجومية، ومع التخلق بجميع الصفات البطولية التي تعلي من قدره، وترفع من شأنه عند المنافسة أو النزال أو المطاردة.[2]

وتغنى الشعراء بشجاعتهم وفروسيتهم، وكذلك شجاعة فرسان قبائلهم ففي ضوء الحياة القاسية التي عاشها هذا الإنسان في صحرائه الواسعة، كان لزاماً عليه أن يظل يقظاً حاداً في معاملته مع الحياة العامة، يستطيع التفوق على غيره ويشبع شعوره بالعزة والقوة ويرضى بذلك نفسه أولاً وقومه ثانياً، ومع ذلك فإن هذا الشاعر الفارس يحافظ على هدوئه واتزانه ويحترم حرية غيره، ما لم يتطاول غيره عليه، فإن ظُلِم رَدَّ بقوة وبأس شديدين، وفي ظل ذلك يظل متمتعاً بجل شمائله التي يعبر

---

[1] ـ الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ص 254-255.
[2] ـ دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 166.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فيها عن كل إنسان كريم النفس كما هو الأمر عند عنترة بن شداد الـــذي يخاطـــب الناس من خلال مناجاة عبلة مبينا تلك الخصال.[1]

أَثْنـــي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فإِنَّنـــي ... سَمْـــحٌ مُخَالقَتي إِذَا لم أُظْلَـــمِ
وإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِي بَاسِـــلٌ ... مُـــرٌّ مَذَاقَتُـــهُ كَطَعمِ العَلْقَـــمِ
ولقَد شَرِبْتُ منَ المُدَامةِ بَعْدَمـــا ... رَكَدَ الهَواجرُ بِالمشوفِ المُعْلَـــمِ
وإِذَا صَحَوتُ فَما أُقَصِّرُ عنْ نَدَىً ... وكَما عَلِمتِ شَمائِلي وتَكَرُّمـــي[2]

فهو فارس شجاع كريم سمح في تعامله، يتحلى بأرق الأخـــلاق وأفـــضلها، وكأنه بذلك يحدد الخصال التي يجب أن يتسم بها الفارس.

ويفخر طرفة بن العبد بفروسيته وشجاعته ودفاعه عن عرضه إذ يقول:

وإِنْ أُدْعَ للْجُلَّى أَكُنْ منْ حُمَاتِهَـــا ... وإِنْ يأْتِكَ الأَعْدَاءُ بِالجَهْدِ أَجْهَـــدِ

ويقول أيضاً:[3]

وَإِنْ يقْذِفُوا بِالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ ... بِكَأسِ حيَاضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ
إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً خِلْتُ أَنَّنـــي ... عُنِيْـــتُ فَلَمْ أَكْسَـــلْ وَلَمْ أَتَبَلَّـــدِ[4]

وهو على أتم استعداد إذا احتاجه القوم فيهب لنجدتهم بشجاعة وبسالة.

وممن كثر في شعره الحديث عن الشجاعة وأفعاله مع قومه في ميادين القتال والوغى عمرو بن كلثوم، وكان حديثه من باب الفخر بتلك الشجاعة حيث يقول: [5]

نُطَـــاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا ... وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوْفِ إِذَا غُشِيْنَـــا
نَشُـــقُّ بِهَا رُؤُوْسَ القَوْمِ شَقًّـــا ... وَنَخْتَلِـــبُ الرِّقَـــابَ فَتَخْتَلِيْنَـــا
كَأَنَّ سُيُـــوْفَنَا فِينَـــا وفِيْهُـــم ... مَخَـــارِيْقٌ بِأَيْـــدِي لاَعِبِيْنَـــا
كَـــأَنَّ ثِيَابَنَـــا مِنَّـــا وَمِنْهُـــمْ ... خُضِبْـــنَ بِأُرْجُوَانٍ أَوْ طُلِيْنَـــا
بِفِتيانٍ يَرَوْنَ القَـــتْلَ مَجْـــداً ... وَشَيْـــبٍ فِي الحُرُوْبِ مُجَرَّبِيْنَا

---

[1] - بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص 62.
[2] - عنترة، الديوان، ص 19-20.
[3] - طرفة، الديوان، ص 35.
[4] - طرفة، الديوان، 31.
[5] - عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 76، 77.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهو يفخر بما يمتلك من قوة وشجاعة يواجه بها أعداءه وأعداء قومه، ولا يستطيع الأعدا أن يقفوا أمامه في ساحة الوغى.

ويفخر الحارث بن حلزة بشجاعة قومه وبالئهم في ساحة المعركة، فيقول: [1]

هَلْ عَلِمْتُمُ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا ... سُ غِوَارَاً لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
إِذْ رَكِبنَا الجِمَالَ مِنْ سَعَفِ البَحْـ ... ـرَيْنِ سَيْرَاً حَتَّى نَهَاهَا الحِسَاءُ
لا يُقِيمُ العَزِيزُ بِالبَلَدِ السَّهْـ ... ـلِ وَلا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ
آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ... ؤوا جميعاً لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ

ويشيد الأعشى بما يتمتع به قومه من فروسية وشجاعة، وقدرتهم على المواجهة في ساحات المعارك، وما يملكونه من عدد الفرسان، حيث يقول: [2]

نحن الفوارسُ يومَ الحنو ضاحيةً ... جنبي فطيمةَ لا ميلٌ ولا عزلُ
قالوا الطرادُ فقلنا تلكَ عادتنا ... أو تنزلونَ فإنّا معشرٌ نزل

وكما للرجال دور في الشجاعة كان للنساء دورٌ كذلك، فالنساء يشاركن في الحرب ويدخلن خضامها، لتشجيع الفرسان على القتال والمساعدة في الأمور، وقد صور عمرو بن كلثوم شجاعة المرأة بقوله: [3]

عَلَى آثَارِنَا بِيْضٌ حِسَانٌ ... نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُوْنَا
أَخَذْنَ عَلَى بُعُوْلَتِهِنَّ عَهْداً ... إِذَا لاَقَوْا كَتَائِبَ مُعْلِمِيْنَا
لَتَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاساً وَبِيْضاً ... وَأَسْرَى فِي الحَدِيْدِ مُقَرَّنِيْنَا
يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ ... بُعُوْلَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُوْنَا

وفيما مضى صور من واقع الحياة العربية في العصر الجاهلي، تظهر ما للشجاعة والفروسية من قيمة ومنزلة عند العرب آنذاك، وقد حرص شعراء المعلقات على إبراز هذه الصورة بكل وضوح.

---

[1] - الحارث بن حلزة، الديوان، ص 27-28.
[2] الأعشى: الديوان، 134.
[3] - عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 86-87..

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

3.4 العفة:

ومن أبرز القيم التي عرفها الجاهلي العفة التي تعني الكف عما لا يحل، وتحمل في طياتها عفة عن المحارم عن الأطماع الدنيئة[1]، ومن معانيها الصبر والنزاهة عن الشيء.

ولعل طبيعة المجتمع الجاهلي بعاداته وأعرافه وتقاليده فرضت عليهم هذا الخلق الشريف، وتطلب منهم أن يكونوا على قدر من من الأنفة والعزة والكبرياء، والبعد عن الإساءة والترفع عن الرذائل.

ولم تكن الخلاعة والمجون يتغاضون عنه، فامرؤ القيس طرده أبوه لخلاعته[2]، والعفة ترفع عن كل ما يسيء إلى المروءة أو يخدش الحياء أو الكرامة، وهي قيمة إنسانية طالما اعتز العربي بها.[3]

ومن باب العفة صيانة الشرف، والحفاظ عليه، فكرامة العربي في شرفه، فلا فائدة للقيم الأخرى دون المحافظة عليه، وقد أشار إلى هذا المعنى عمرو بن كلثوم في حديثه عن مشاركة النساء بالقتال، ولكنهم بالمقابل حافظوا عليهن من السبي يقول: [4]

إذا لم نَحمهُّن فلا بقينا لشيء بَعدهُنَّ ولا حَينَا
وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالقُلِيْنَا

وقد افتخر الشعراء بعفتهم وعفة أقوامهم في أمور متعددة منها عفتهم عن أخذ ما يكسب من غنائم بعد الحرب، وفي ذلك يقول عنترة: [5]

يُخْبِرك مَنْ شَهَدَ الوَقيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِند المَغْنَمِ

فعنترة يفخر بارتياده ميادين الوغى مترفعاً عن أخذ المغانم، فهو لا يحارب من أجلها، ولكنه يحارب شجاعةً وذياداً عن الحمى والجماعة.[6]

---

[1] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص .
[2] - الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ، ص 282.
[3] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 106.
[4] - عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 87،88.
[5] - عنترة، الديوان، ص 21.
[6] - طبانة، معلقات العرب، ص 273.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن صور العفة عفة اللسان والتنزه عن فحش القول وذم الآخرين وشتمهم وهجائهم، والإعراض عن الغيبة والنميمة[1]، وهذا أخلاق رفيعة لا يمكن الاستغناء عنها، وفي ذلك يقول عنترة: [2]

ولقَدْ خَشَيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ ولَم تَـدُرْ للحَرْبِ دَائِرَةٌ على ابْنَي ضَمْضَمِ
الشَّاتِمِيْ عِرْضِي ولَم أَشْتِمْهُمَا والنَّاذِرَينِ إِذْ لَم أَلَقَهُما دَمِي

ويبدو هذا المعنى في قول زهير بن أبي سلمى ينهى عن التعرض للناس بالشتم: [3]

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وتعد العفة من القيم الكبرى في الحياة العربية إلى جانب الكرم والشجاعة، وأهم مافيها الحفاظ على الشرف والعرض، ولهذا حرص الشعراء على الحديث عنها مطولاً في أشعارهم، وكانت من الخصال التي يتباهى بها السادة والزعماء.

4.4 رفض الذل وإباء الضيم

العرب أمة أبية لا تضيم على الخسف، ولا ترضى بالهوان، فالأنفة عندها أعز من الحياة، والذل عليها أشق من الموت، وقد ضمنوها في مختلف شعرهم.[4]

ومن الأخلاق العربية التي أبرزها الشعر الجاهلي العزة وإباء الضيم الذي كان ثمرة من ثمرات الحرية التي عشقها العربي وأوضع لبانها في تلك البيئة الحرة، فقد كان سيد نفسه لا يرضى إلا بما تسنه قبيلته، ولا يخضع إلا لسلطاتها وفيما عدا ذلك تراه لا يعترف بسيادة ولا يقر بسلطان، إلا أن يقهر أو يغلب على أمره ولكن هيهات أن يستكن له.[5]

فقد كان العربي يعيش في بيئة مجدبة نادرة الزرع شحيحة، بالخير عامة، ولذلك استعاض عن هذا القفر المادي بما هو خير وأنفع وأكثر إسعاداً وهو الإباء

---

[1] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 105.
[2] - عنترة، الديوان، ص 25.
[3] - زهير، الديوان، ص 110.
[4] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 101.
[5] - طبانه، معلقات العرب،ص 232.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والحرية، فشقت عليه الطبيعة فحرمته كثيراً من الوسائل المادية الحسية التي تبرقه فيها المتحضرون، ولكنه استمتع بخيرها مما يستمتعون به، فعاش في الصحراء حراً أبياً كالأسد، قوي القلب كالصخر فبسط النفس كالبطحاء، صافي المشاعر كالشمس المشرقة والبدر الساحر[1]، ولذلك رفض العربي الذل والمهانة والضيم، لأن نفسه عصية على ذلك كله.

كان الجاهلي شديد الرفض للذل والظلم، ويعتز بذلك ويفخر، وإذا ظلم فإنه يقتص لظلمهم خصمه مهما كلفه ذلك.

ومن صور الإباء ورفض الذل في الشعر الجاهلي "اشتهر فتك عمرو ابنّ كلثوم بعمرو بن هند لأنه بغى وتملَّكه الزهو واستعلت أمه على ليلى أم عمرو ابنّ كلثوم، وأرادتها أن تقوم منها مقام الوصيفة، فصاحت: واذلاه! فسمعها عمرو ابنّ كلثوم فثار ووثب إلى سيف وضرب به رأس عمرو بن هند وكانت هذه سبب على نظم جزء من المعلقة[2] فيقول في رفضه للانصياع والذل:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا
بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ ... نَكُوْنُ لِقَيْلِكُمْ فِيْهَا قَطِيْنَا
بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... تُطِيْعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِيْنَا
تَهَدَّدُنَا وَتُوْعِدُنَا رُوَيْداً ... مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِيْنَا
فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ ... عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِيْنَا[3]
وَنَحْنُ التَّارِكُوْنَ لِمَا سَخِطْنَا ... وَنَحْنُ الآخِذُوْنَ لِمَا رَضِيْنَا
وَأَنَّا المَانِعُوْنَ لِمَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا النَّازِلُوْنَ بِحَيْثُ شِيْنَا
وَأَنَّا العَاصِمُوْنَ إِذَا أُطِعْنَا ... وَأَنَّا العَازِمُوْنَ إِذَا عُصِيْنَا
إِذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً ... أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فِيْنَا[4]

[1] - الحوفي، الحياة القبلية في الشعر الجاهلي، ص 274.
[2] - الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ص 274.
[3] - عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 78-79.
[4] - عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 89-90.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولشعور العربي بالعزة والإباء والحرية أخذ يفخر بنفسه لأنه لا يرضى بالذل والانصياع، فكما فرضت الطبيعة الصعبة القاسية تلك القيم فإنه حرص على العـــزة ورفض الذل، لأن قسوة العربي اكتسبها من قساوة البيئة التي نشأ فيها.

وكان من آثار الشعور بالحرية والإباء أن ملأ العربي الصحراء فخراً بقوتـــه وعدته، إنه يرضي كبرياءه بهذا الفخر، وإنه يخيف أعداءه منه[1]، وقد عبر عن هـــذا المشهد طرفة بن العبد حيث قال:[2]

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ ... خَشَـــاشٌ كَـــرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ

فَـــآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَـــــةً ... لِعَضْـــبٍ رَقِيْقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّـــدِ

حُسَـــامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِـــهِ ... كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ

أَخِـــي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيْبَـــةٍ ... إِذَا قِيْلَ مَهْلاً قَالَ حَاجِزُهُ قَـــدِي

إِذَا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وجَدْتَنِـــي ... مَنِيْعـــاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمَـــهِ يَـــدِي

هذا الفخر نابع من شعور طرفة بعزته وبائه ولهذا أخذ يتحدث عـــن نفـــسه وعن شجاعته التي لا تقبل الضيم والهزيمة.

ومن صور الإباء ورفض الظلم أن لا يظلم الرجل غيره وقد تحلـــى ســـادة القبائل بهذه الصفة فكانوا يأبون الظلم والوقوع فيه، وفي ذلك يقول لبيد: [3]

وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا ... وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِـــهَا هَضَّامُـــهَا

فسيد القبيلة عندما يوزع الغنائم بعد الحرب أو أي شيء يدخل القبيلـــة فهـــو يقسمه بين جميع الأفراد دون أن يؤثر أحداً على الآخر، فهذه من أعز القيم التي نشأ عليها العربي وتربى من رفض الظلم، وهذه من شيم زعماء القبائل الذين يتحـــرون العدل ورفع الظلم عن الآخرين.

ويرفض العربي الظلم أن يقع وأن يُوقِع فيه، ولكنه إذا ظلم فإنه يـــرد هـــذا الظلم بأشد منه، فالعربي صعب في طبعه مثلما ذكر سابقاً، يقول عنترة في ذلك: [4]

وإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِي بَاسِـــلٌ ... مُـــرٌّ مَذَاقَتُـــهُ كَطَعْمِ العَلْقَـــمِ

---

[1] - الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ص 275.
[2] - طرفة، الديوان، ص 36-37.
[3] - لبيد، الديوان، ص 319.
[4] - عنترة ، الديوان، ص 19.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ورد الظلم واجب حتى لو كان من ذوي القربى، وفي ذلك يقول طرفة ابن العبد:

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنّدِ[1]

5.4 الوفاء

من أبرز القيم التي غرستها الطبيعة العربية الوفاء، فالعربي وفيٌّ لأهله وقبيلته ومن حوله ممن تجمعهم صلات وغيرها، فالوفاء خلق عربي أصيل يتصف به الكرماء وأصحاب الجاه، وكل من فهم قيمة هذا الخلق وأثره في الحياة.

والبيئة البدوية كانت فيها كلمة ينطقها العربي هي (وعده) أي يجب أن يفي به، وإلا عرَّض شرفه للتجريح، فكان الوفاء من أخلاق العرب.[2]

"والوفاء رديف الصدق، فإذا كان الصدق باللسان، فان الوفاء باللسان والسلوك، لذلك كان لهذه القيمة الإنسانية عظيم الأثر في حياة العرب في جاهليتهم، لقد كان لها آثار إيجابية تعود بالنفع على الإنسان والمجتمع، فتعمل على توحيده وتجعله قوياً متماسكاً، تشيع بين أفراده المحبة والمودة، فقوة المجتمع لا تقتصر على قوة الساعد والسلاح، وإنما تعتمد على قدرته في تجاوز الرذائل، والتمسك بالقيم الإنسانية النبيلة، فإذا ما وجد ذلك في المجتمع ينتصر على نفسه من الداخل، فيكون مستعداً لمجابهة الأعداء والخصوم، أما إذا شاع الغدر والخيانة وتفشت الكراهية والبغضاء بين أفراده، فإن ذلك من شانه أن يقطع أواصر المودة والمحبة"[3].

فالمجتمع الجاهلي بظروفه وطبيعة العلاقات التي تنظم شؤون أفراده وتحدد علاقات القبائل فيما بينها وبخاصة فيما يتعلق بالأحلاف وقانون الجوار، بحاجة إلى تمسك بهذا النوع من الفضائل، لأن الوفاء شيمة من شيم أصحاب المكانة ومن ينظم شؤون القبائل.

ويمكن القول إن قيمة الوفاء لهم يكن يتحلى بها كل إنسان، ومع ذلك فإن الغدر كان من الأخلاق المذمومة في ذلك المجتمع، والتي تجرد صاحبها من الكمال

---

[1] - طرفة، الديوان، ص 36.
[2] - الحوفي، الحياة العربية في العصر الجاهلي، ص 277.
[3] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 195.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الإنساني الذي كانوا ينشدونه، لذا كان الغدر مذموماً بين الناس وغير مرحب به، وبالمقابل مجد العرب الأوفياء لأن الإنسان مفطور بحبه على تمجيد الخلق العربي، فإذا ما هجا شاعر أحداً نعته بالغدر والخيانة، وإذا امتدح أحداً نعته بالوفاء.

وقد تردد الوفاء في الشعر العربي كثيراً وخصوصاً في الحديث عن الجوار والأحلاف، وغيرها من الأمور التي تتم ما بين القبائل، وهذا يتطلب الوفاء حتى تبقى القبائل بعيدة عن الشر والحرب، وقد أشار زهير إلى الأحلاف ووجوب الإلتزام بها ومن لا يلتزم فله جزاؤه لأنه أقسم على ذلك، وجزاء من لم يوفِ بالحلف يقول زهير:[1]

أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّى رِسَالَةً ... وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ ... لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

والحليف له حقوق وعليه واجبات، لا يجوز فض الحلف أو الغدر بالحليف مادام الحلف معقوداً، ويحرص المجتمع الجاهلي على الحفاظ على قداسة الحلف ويعتبر المساس به عاراً ألصق بالقوم.[2]

ويتغنى عمرو بن كلثوم بالمحافظة على الحلف والوفاء باليمين الذي يقطع وجعل ذلك مدار فخر واعجاب، حيث يقول عمرو بن كلثوم: [3]

مَتَى نَعْقِدْ قَرِيْنَتَنَا بِحَبْلٍ ... تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ نَقِصُ القَرِيْنَا

وَنُوْجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَاراً ... وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِيْنَا

وورد في الشعر وجوب الوفاء بالعهد والمحافظة عليه وعدم الجور والتعدي على هذا العقد، يقول الحارث بن حلزة: [4]

وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُدِّ ... مَ فِيهِ العُهُودُ وَالكُفَلاءُ

حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْـ ... ـقُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الأَهْوَاءُ

وَاعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ فِيـ ... ـمَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ احْتَلَفْنَا سَوَاءُ

---

[1] - زهير، الديوان، ص 107.
[2] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص318.
[3] - عمرو بن كلثوم ، الديوان، ص 81.
[4] - الحارث بن حلزة، الديوان 36.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد تعددت الأحلاف والمواثيق في العصر الجاهلي، مثل حلف ذي المجـــاز، وكان على العربي واجب وهو يتمثل بالحفاظ على هذه العهود والوفاء بها لطـــرف آخر وعدم الخيانة والغدر فهي ليست من شيم العربي الكريم الأبي الفارس، وشـــيمة الوفاء تقوي دعائم الترابط والثقة بين الناس وتؤدي إلى تماسكهم وتظافرهم.

والعربي في جاهليته كان شديد الوفاء بالعهود، والحرص على توثيقها، وقـــد يبذل في سبيل وفائه أعز ما يملك، بل يرى من العار أن يـــنقض وعـــداً أو ينكـــث عهداً، وكان من عادة القبائل أن ترفع لواءً للغادر في أسواقها ازدراءً به، وعقوبـــة نفسية له، للجريمة التي ارتكبها في حق نفسه وحق مجتمعه.

ومن ذلك يمكن القول إن الوفاء خلق اجتماعي، جوهرة الصدق في الفعـــل، وآلية تنفيذه الإلتزام بالقول، فإذا ما أبرم الإنسان وعداً عليه أن ينجزه، ويلـــزم بمـــا وعد.[1]

ومن صور الوفاء الجاهلي الوفاء للجار، فللجار حقوق كثيـــرة ذكـــر منهـــا الكرم، وكذلك للجار حق الوفاء والحفاظ عليه وعدم خيانته، ومن ذلك قول الأعـــشى في وصف محبوبته التي تفي بحقوق جارها وتحفظها: [2]

ليست كمن يكرهُ الجيرانُ طلعتها ولا تراها لسرِّ الجارِ تختتلُ

ومن ذلك أيضاً قول لبيد في إشارته إلى منزلة الجار، فهو كالضيف والتعدي عليه نقيصة له وله الكرم والوفاء وكل حق يقول: [3]

فَالضَّيْفُ وَالجَارُ الجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِباً أَهْضَامُهَا

تعددت صور الوفاء في الحياة الجاهلية وتنوعت وفي ذلك بيان لأهمية الوفاء ومنزلته بالنسبة لهم وضرورته، وهو يعكس جملة من الأخلاق والعلاقـــات الطيبـــة التي كانت بينهم قديماً، حتى غدا الوفاء خُلقاً نبيلاً يتغنى به العربـــي ويمتـــدح بـــه الشعراء.

---

[1] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 196-197.
[2] - الأعشى، الديوان، ص 131.
[3] - لبيد، الديوان، ص 318.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

6.4 الحِلم:

شاع الطيش والجهل وسرعة الغضب والانفعال بين العرب في جـــاهليتهم، إذ إن العربي بطبعه سريع الانفعال عصبي المزاج، لا يتوانى أن يثور لأتفه الاسباب، متسلحاً بدعم قبيلته له دفاعاً عنه، وقد أحلت العصبية هذا الخلق في نفسيته، ويفخـــر أحياناً بالطيش والجهل، ولكن في وسط هذا الطيش برز خلق الحلم والحلماء، علـــى النقيض من الطيش والسرعة والتهور.[1]

والحِلّم، الأناة والتعقل، وهو نقيض السفه، وقيل:حلّمه أمر بـــالحلم، والحلـــم يعني الأناة والتثبت في الأمور.[2]

وقد رأى العرب أن قيمة الحلم، من الخصال المؤهلة للسيادة، ذلك أن سرعة إنفعالهم، واستثارتهم بالكلمة العارضة، والتي تؤدي إلى الاقتتـــال وإراقـــة الـــدماء، تتطلب منهم أن يسودوا من يتصف بهذا الخلق[3]، وكان الحلم لهذه الأسباب خـــصلة نادرة في المجتمع القبلي لا يتاح إلا لمن أوتي حظاً عظيماً من القدرة علـــى ضـــبط النفس وقلة الاستجابة لدواعي الاستفزاز والإثارة، وكان اتصاف سيد القـــوم بـــالحلم خليقاً أن يجنبهم كثيراً من الشر، وأن يشيع في نفوسهم الشعور بالاطمئنان والأمن[4].

وفي شعر المعلقات إشارات واضحة تدل على قيمة هذا الخلق والسلوك، ومن ذلك قول طرفة يثني على نفسه بحلمه وترفعه عن ظلم ذوي القربى حيث يقول:[5]

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ منْ وَقعِ الحسَامِ المُهَنَّدِ
فَذَرْنِي وخُلْقِي إِنَّنِي لَكَ شَاكِـــرٌ وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ

فقد تحمل وصبر على ذوي القربى فهذه من أخلاقه وطبعه، فهو مظلوم ليس ظالما، وإنما دفعه إلى ذلك ما يتصف به من حلم ورجحان عقل، ولهذا لم يظلم ولم يثأر لظلمه وينتقمً.

---

[1] - دراوشة، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص 189.
[2] - ابن منظور، لسان العرب مادة حَلَم
[3] - دراوشة، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص 190.
[4] - النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الاموي، ص 76.
[5] - طرفة، الديوان، ص 36.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

7.4 الدعوة إلى السلم (فك الصراع):

يسعى الإنسان دائما منذ الأزل بحثاً وراء السلم والسلام، لا يحبذ الشر لأن عواقبه وخيمة على الفرد والمجتمع من حروب وويلات وغيرها، ورغم ما في الإنسان الجاهلي من طيش وتهور إلا أنه كان يسعى إلى البعد عن الحرب والاقتتال، وفك النزاع بين المتخاصمين.

وسيطرت نزعة الشر على المجتمع الجاهلي في كثير من الأحيان، واشتد الصراع والاقتتال بين كثير من القبائل، الأمر الذي أدى إلى إفساد حياتهم، وجعلهم يعيشون في حالة من الخوف، مما حدا بعقلائهم وحكمائهم إلى الوقوف بوجه الشر، ومحاولة بث الأمن والطمأنينة، مدركين أثر تلك الحروب عليهم، في تحطيم روابط المودة والمحبة، فكان لابد لهم من وقف الاقتتال الذي أنهك قواهم وجعلهم يعيشون في حالة من الخوف والاضطراب، وهذا السعي المحمود لفك النزاع قيمة خلقية نبيلة، لأن فيها حقناً للدماء.

ويعد السلم من المثل التي برزت في خِضّم الحروب والغزو الذي سادت في الجزيرة العربية، ومع ذلك فإنهم كان يجنحون إلى المصالحة والسلم ما وسعهم ذلك، وما دام ذلك لا يلحق بهم عاراً، بل إننا رأينا أن عبساً في حرب داحس والغبراء حاولت تجنب الحرب أكثر من مرة، ومثل ذلك في حرب البسوس كذلك، حينما أرسلت تغلب وفداً إلى بكر تسألها أموراً منها أن تسلمها جساساً أو هماماً فتقتله بكليب، ولو قبلت بكر ما حدثت حرب البسوس، ولكن الذي كان يفجر الحرب هو العصبية والخوف من القبيلة الأخرى أن تغير قبولها لشروط الطرف الموتور على أنه تخاذل أو استسلام، وأكثر ما تظهر هذه حب المصالحة، عند القبائل التي ترتبط برباط القرابة، أو تجمعها مصالح.[1]

ولكن الرغبة في السلم والدعوة إليه لا نجدها ونسمع له صوتاً إلا في شعر الحروب بين القبائل التي تنتمي إلى أب واحد كحرب داحس والغبراء (عبس وذبيان)، وحرب البسوس (بكر وتغلب) والحروب بين بطون القبيلة هي حروب إخوة من الطبيعي أن تولد أمام هذا الشعور برابطة القرابة والدم فكرة بغض الحرب

[1] ـ عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 319.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وتزيين السلم بين الفريقين، ولكن ليس في بدايتها، وإنما عندما يكتوي الفريقان بنارها، ومن أبرز الشعراء الذين دعوا للسلم زهير بن أبي سلمى، فهو يحذر حي غطفان من العودة الى الاقتتال ويذكرهم بما لاقوا من ويلاتها وجرائرها، وبخاصة أن زهيراً كان يلقب بشاعر السلام[1]، وفي ذلك يقول: [2]

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ
فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِلُّ لأَهْلِهَا ... قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ

فهو يدعو إلى الابتعاد عن الحرب ونارها، فهي لا تجلب إلا الويلات على أصحابها فيذكرهم بما أحدثته، ويشير زهير كذلك إلى السادة الذين همو للصلح بأموالهم، فالدعوة إلى الصلح والسلم من أخلاق علية القوم والسادة، فقد قدّم كل من هرم بن سنان والحارث بن عوف أموالهم ودفعوا ديات القتلى مقابل إحلال السلام فهما من أبرز الشخصيات التي دعت إلى السلم في العصر الجاهلي، ولهذا أكثر الشاعر من مدحهما وجعلهم أفضل الناس، حيث يقول:[3]

سعَى ساعيا غَيْظ بْن مُرّةَ بَعدما ... تَبَزَّلَ ما بَيْنَ العَشِيرةِ بالدَّمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ ... رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

وقد تلمح الرغبة في السلم والبعد عن الحرب في معلقة الحارث بن حلزة، الذي يدعو إلى الصلح ونبذ الحرب، حيث يقول: [4]

---

[1] - عبدالرحمن، الشعر وأيام العرب، ص 321.
[2] - زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 107.
[3] - زهير الديوان، ص 105-106.
[4] - الحارث بن حلزة، الديوان، ص 35.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فَاتْرُكُوا الطَّيْــخَ وَالتَّعَاشِــي وَإِمَّا تَتَعَاشَوْا فَفِي التَّعَاشِي الــدَّاءُ
وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُدِّ مَ فِيــهِ العُهُودُ وَالكُفَــلاءُ
حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْــ ــقُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الأَهْوَاءُ
وَاعْلَمُــوا أَنَّنَــا وَإِيَّاكُــمْ فِيــ مَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ احْتَلَفْنَا سَوَاءُ

فترى أثراً لحب السلم فهو يذكرهم بالحلف الذي يمنع التعدي والجور وأنهم سواء في هذا الحلف.

ونرى من ذلك أن العرب ليست متعطشة للقتال ولكن إذا دعت الحرب إليها هبوا إليها مجبرين كارهين لها، وحتى لو قامت فإن هناك أصوات السلام التي تنادي بإيقافها والحد من سفك الدماء بها، فقد سعى المصلحون بكل ما يملكون من جهد ومال في سبيل القضاء على الخصومات والعدوان، ولإيقاف نار الحرب في كل مكان، ولإشاعة جوّ من الحب والصفاء.[1]

والشعر الجاهلي لم يخل من تصوير أخلاق القوم ومثلهم العليا فهو يعتز بتلك القيم من كرم ووفاء، وعزة، وشجاعة وغيرها، وهذه القيم تمثل ناقوساً طبيعياً يتحتم احترامه[2]، فعلى الرغم من وجود آفات اجتماعية وسلوكيات غير مرغوبة في المجتمع الجاهلي، إلا أن ذلك المجتمع كان يتمتع بالخصال الحميدة.

8.4 الحكمة:

تنوعت المآثر والقيم والأخلاق في الحياة، وتعددت التجارب التي خاضها الإنسان الجاهلي، من حرب وسلم، ورحلة وترحل وغيرها، وكلها كان لها أثر كبير في تعميق الفهم في الأمور، والتعامل مع تجارب الحياة بحكمة وروية.

فالحكمة تصدر عن تجارب خاصة عاشها ويعيشها المرء، وترتبط بواقع محدد في حياته، وقد تخرج أحياناً من دائرته الذاتية إلى دائرة أشمل وأعم، فيحاول أن يضفي عليها طابعاً إنسانياً عاماً، ولما كان الشعراء لسان الأمة وحكماءها، فقد تميزوا بتسجيل تجاربهم الذاتية من خلال قصائدهم، فأضفوا عليها بأحاسيسهم

[1] - دراوشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 211.
[2] - بوبعيو، جدلية القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص 3.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المرهفة، وعواطفهم المفعمة بالحياة أسلوباً طريفاً يحسن أن يستفاد منه في كل الأزمنة والعصور.[1]

والحكمة الجاهلية دليل رقي على عقلية الشعراء وتفكيرهم وتأملهم في قضايا الناس والحياة، وهي ثمرة تجارب طويلة وفطنه ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وغايته ونهايته، ثم إحساس دقيق بالحياة وهي ليست فلسفة ذات أصول أو تفكير منظم بل هي الإحساس الذاتي، والتأثر أقرب منها إلى التفكير العلمي، فهي نظرات وانطباعات وتأمل في الحياة والموت، ومحاولات ليست نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما يقومون به من أفعال وعادات، ولذلك جاءت حكمتهم حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة تمليها التجربة والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأملات والمشاهدات، تصاغ في بيت شعر أو مثل أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى ذات دلالات بعيدة، تقع من النفس موقعها البالغ المؤثر.[2]

وقد ظهر في الحياة الجاهلية عدد من الحكماء الذين أدخلوا الحكمة في الشعر وعدوا حكماء، ومن هؤلاء الشعراء الذين برزت الحكمة في قصائدهم لبيد بن ربيعة، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص وغيرهم من الشعراء.

وقد جاءت حكمة الجاهليين على قدر كبير من النضج العقلي، فقد أفادوا من خبرة الماضين وأخبار الملوك وقصص الأمم البائدة، وشهد بعضهم حياة طويلة حافلة، أو أجيالاً تمضي وأخرى تنشأ، وأصابوا من خير الحياة وشرها، وذاقوا حلوها ومرها، ففرحوا بما حبتهم، وحزنوا رزأتهم به من فقد ولد أو ذهاب حبيب، واعتبروا بكل ذلك، وكان من هؤلاء الشعراء الجاهليين من نظر واعتبر بالماضيين وتأمل في مصير الناس وغاية الحياة، ولجأوا أخيراً إلى الله سبحانه، كما فعل لبيد وزهير، ومنهم من انصرف إلى الحياة يلهو بها ويعيش ملذاتها ويعيش ليومه بل لساعته كطرفة بن العبد.[3]

---

[1] ـ دراشة، القيم الانسانية في الشعر الجاهلي، ص 224.

[2] ـ الجبوري، يحيى ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط7، 1994، ص 403.

[3] ـ الجبوري، يحيى ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط7، 1994، ص 403

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ونجد في معلقة لبيد تجسيداً للحكمة في قصائده فتأتي في نغمة روحية صافية، وفي سياق تسبيح الله وذكر الدين، وتأتي للعبرة والعظة عند ذكر الأمم الماضية، ومن ذلك حكمته في الحث على القناعة والتحلي بخلق الأمانة حيث يقول:[1]

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا سَمَ الْخَلائِقَ بَيْنَنَا عَلاَّمُهَا
وَإِذَا الأَمَانَةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا

ومن حكمته في الموت: [2]

صَادَفْنَ منهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إِنَّ الْمَنَايَا لاَ تَطِيشُ سِهَامُهَا

فقد جسد لبيد في حكمه الأخلاق العربية الأصيلة التي شاعت في أوساط السادة والعقلاء والحكماء.

وأكثر ما تظهر الحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى وبشكل لافت، ولعل ذلك لكثرة ما شهد من الأحداث وكثرة ما عرف من أخلاق الناس وعنادهم وتعبهم، فقد شهد خيانات وحروباً، كما شهد صلحاً ونقضاً، ورأى دماءً تسيل، ورأى قصاصاً على جرائم التافهة، ورأى جوداً وتضحية وبذلاً، كما رأى شجاعة و جبناً، واستطاع بكل ذلك أن يصوغ الحكمة البالغة.[3]

ولعل زهيراً نظر إلى الحياة نظرة واقعية، فقد خبرها وعرف شرورها، وخبر أخلاق الناس ونوازعهم، فتراه يسوق الحكمة بأسلوب وعظي وحس ملموس يقدم بين يدي الناس نظرته إلى الحياة، فالموت نصيب الإنسان إن لم يصبه اليوم فغداً، وإن أخطاه عاش دهراً فيهرم ثم يدركه الموت، والمرء مجبر في حياته إن يعاشر الناس ويصانعهم، والا ظلموه وأذلوه، أما المال فلا خير فيه إذا لم ينفق في صالح القوم، ويبذل دون الشرف والضعيف في مجتمع القوة لا خير فيه، إن لم يقوَ في حياته سحقه الأقوياء، والجبان في هذه الدنيا الخائف من منية لا فرارا له وهل

---

[1] - لبيد، الديوان، ص 321.
[2] - لبيد، الديوان، ص 321.
[3] - طبانه، بدوي، معلقات العرب، ص 282.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يستطيع أن يتخذ سلماً في السماء[1] وعلى هذا النمط يصوغ زهير كثيراً من أبيات الشعرعلى ذلك يقول: [2]

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ
مَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
مَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
مَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَمِ
ومَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

لقد سئم زهير مشاق هذه الحياة وشدائدها، وهي كثيرة ومتنوعة، وعقله الكبير الذي وعى ما معنى ما حضر لم يستطع الإحاطة بما هو متوقع، وتستطيع أن تجد في كل بيت من أبيات الحكمة لغة فكرية باقية تصلح أن تكون قانوناً من قوانين الحياة.[3]

والحكمة في شعر زهير ناتجة عن إدراكه وإحساسه بمطامح مجتمعه وأمانيه وهو المثال الذي تتوسم فيه كل الفضائل للجماعة التي ينتمي إليها، ومن هنا كان وجدانه وإحساسه يتوخى في تقديم السلوك الاجتماعي الذي يتفق مع وجهة نظر التجربة القبلية، ويساير مثلها وقيمها على أن للانتماء شروطه وواجباته التي يقتضي على الفرد القيام بها لكي يوفق بين الشخصية الذاتية والتقبل الاجتماعي وأيضاً الرغبات العامة، وتحقيق النموذج المطلوب[4]، وذلك ما تتأمله في قوله: [5]

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
مَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

[1] - الجبوري،الشعر الجاهلي، ص 407.
[2] - زهير، الديوان، 110-11.
[3] -عامر،مرآة الشعر الجاهلي، ص 353.
[4] - القبيلة في الشعر الجاهلي. ص 323.
[5] - زهير : الديوان، ص 110.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد تعددت صور الحكمة في شعر زهير وخصوصاً في معلقته، ولعلها ناتجة من خبرته وتجاربه الطويلة في الحياة، وما شاهده من حروب ونزاعات بين القبائل.

وتظهر الحكمة بشكل لافت في شعر طرفة، حيث يرى بدوي طبانه أن ذلك ((لنبوغه المبكر وشدة حساسيته لما حول)).[1]

ومما جاء من حكم طرفة بن العبد قوله: [2]

ألاَ أَيُّها اللائمي أَشهَدُ الوَغَى ... وَأَنْ أَنْهَل اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيْعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي ... فَدَعْنِي أُبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

هذه من الحكم التي يؤمن بها طرفة لأنه من الشبان الذين عكفوا على اللذات غير مبالين بالحياة، ولا حريصين على مالٍ أو جاه، لأنهم عرفوا أن مقامهم في تلك الحياة مقر، وأنه ليس لحي بقاء، ومن جانب قوله في مصير الإنسان تصويره، أن الموت يسوىّ بين الناس جميعاً، وأن قبر الكريم المسرف على نفسه لا يقل عن قبر البخيل الشحيح الحريص على النفس.[3]

وفي ذلك يقول طرفة: [4]

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيْلٍ بِمَالِهِ ... كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِن تُرَابٍ عَلَيْهِمَا ... صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنَضَّدِ

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيْلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

أَرَى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِاليَدِ

مَتَى مَا يَشَأْ يَوْماً يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ ... وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ المَنِيَّةِ يَنْقَدِ

أَرَى المَوْتَ أَعْدَادَ النُّفُوْسِ وَلا أَرَى ... بَعِيْداً غَدًا مَا أَقْرَبَ اليَوْمَ مَنْ غَدِ

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ ... بَتَاتاً وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

---

[1] ـ طبانه، معلقات العرب، ص 280.

[2] ـ طرفة، الديوان، ص 33.

[3] ـ طبانه، معلقات العرب، ص 281.

[4] ـ طرفة اليوان، ص 34-35.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وغالباً ما تتضمن الحكمة خلقاً عربياً أصيلاً، كما يبدو في قول طرفة: [1]

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ منْ وَقعِ الحسَامِ المُهَنَّدِ

فعلى الرغم من صغر سنه فإنه كان على قدر من الوعي والفكر، ولهذا تجد في شعره جملة من الحكم العربية الأصيلة.

ومن الشعراء الذين تضمن شعرهم حكماً وأخلاقاً عربيةً أصيلةً، عبيد ا بن الأبرص، حيث قال: [2]

فكُلُّ ذي إبِلٍ مَوْروثٌ وكُلُّ ذي سَلْبٍ مَسْلوبُ
فكُلُّ ذي غَيْبةٍ يَؤوبُ وغائِبُ المَوْتِ لا يَغيبُ
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وسائِلُ اللهِ لا يَخيبُ
يَعِظُ النَّاسُ مَنْ لا يَعِظُ الدْ هْرُ ولا يَنْفَعُ التَّلْبِيبُ

فحكمه زاخرة بالفكر والفلسفة، وبكل ما له علاقة بالحياة.

والحكمة هي نتاج مواقف عاشها عبيد، وخبرها وتفاعل معها وإذا فرضنا أنه عاش مائة سنة أو أكثر فهي جديرة بأن تعطيه الكثير من الأمور في الحرب والسلم والمعاهدات والصداقات والشجاعة وغيرها مما يحمده العرب أو ما يذمونه ويعدونه المثل الأعلى.[3]

ونستنتج من الحكم السابقة أنها كانت صادرة عن تجارب واقعية صادقة في الحياة، وأنها اشتملت على كثير من الأخلاق العربية الأصيلة.

ولعل فيما سلف ما يؤكد أن مجتمع الجاهلية لم يخلُ من منظومة القيم والأخلاق الرفيعة، والتي أسهمت في توثيق أواصر المحبة والوئام بين أبرز أفراد المجتمع، وأسهمت أيضاً في حقن الدماء في كثير من الأحيان، وكثر من هذه القيم والأخلاق المقبولة أثنى عليها الإسلام فيما بعد وأقرها ضمن الإطار الإسلامي.

---

[1] ـ طرفة، الديوان، ص 34.
[2] ـ الأبرص، الديوان، ص 136.
[3] ـ عامر، مرآة الشعر الجاهلي، ص 253.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الخاتمة

في ضوء دراسة الجزيئات السابقة المتعلقة بموضوع (مظاهر العمران الاجتماعي في شعر المعلقات)، وفي ضوء دراسة النماذج الشعرية السابقة تبين للباحثة ما يلي:

الفصل الأول: الذي تناول مظاهر الحياة القبلية في شعر المعلقات تبين للباحثة أن هذا الشعر سجل كثيراً من صور الحياة القبلية، حيث أظهر معاناة الجاهليين في الترحل من مكان لأخر طالباً لبواعث الحياة، ثم تضمن هذا الشعر اهتمام العرب بالنسب إلى القبيلة، وكذلك العصبية القبلية التي بدت صورتها بشكل جلي، ثم كشف هذا الشعر عن صفات سيد القبيلة، بالإضافة إلى ما كان يعقد بين القبائل من أحلاف، وأظهرت بعض النماذج الشعرية في المعلقات مظاهر ديانة العربي في ذلك العصر.

وفي الفصل الثاني: الذي تناول مظاهر الحضارة في شعر المعلقات كشف الشعر عن طبيعة الحضارة في الأطلال وما يخلفه الجاهلي من تبعات الرحيل، وصورة هذا الرحيل وما يلزم به من أدوات اهتموا بصنعها، وصورة الخيام التي يسكنوها وكذلك الأطام والحصون والقصور التي شاهدها الجاهلي من خلال تجواله بين بيئات مختلفة في هذه الصحراء، فانعكس ما يشاهده من تلك البيئات في شعره، من ذلك صورة مجالس الخمر وأدواتها التي تستخدم، وكذلك أدوات الطعام والشراب التي استخدموها وصنعوها، والأسلحة التي حاربوا بها، ومن ذلك السيف والرمح والدرع وغير ذلك، حيث افتخر العربي بكل مظاهر الحضارة التي استخدمها في حياته.

وفي الفصل الثالث: الذي تناول الذوق الجمالي في شعر المعلقات حيث تمثل هذا الذوق بما يتعلق بالمرأة، فقد برزت صورة المرأة عند شعراء المعلقات جميعهم وبخاصة ما ورد في معلقات امرئ القيس والأعشى ولبيد، فظهرت صورة المرأة من حيث وصف مفاتنها وجمالها الجسدي، وصور لباسها وحليها وطيبها وزينتها، مما يدل على اهتمام المرأة بنفسها وجمالها منذ الأزل.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والفصل الرابع الذي تناول قيم الجاهلي ومثله العليا، كشف شـــعر المعلقـــات عن مجموعة من القيم في الحياة الجاهلية، ومن ذلك قيم الكرم والشجاعة والفروسية، والوفاء، والحلم وغيرها، وتبين للباحثة أن هذه القيم كانت لازمة من لوازم الحيـــاة العربية في العصر الجاهلي، حيث كان العربي بحاجة إلى مثل هذه القـــيم، كمـــا أن مثل هذه القيم كانت تنظم شؤون الأفراد في القبيلة الواحدة، وكذلك شـــؤون القبائـــل فيما بينها.

ومهما يكن من أمر فإن هذه النتائج وغيرها تبين أن شعر المعلقات تـــضمن صورة صادقة وواقعية للحياة الجاهلية ومظاهر العمران الاجتماعي بأدق التفاصيل، حتى أن هذا الشعر يعد مرجعاً لا غنى عنه في دراسة حياة العرب في ذلك العصر.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المراجع

الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس، (ت7هـ)، 1950، **الديوان** شروح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.

الألوسي، محمد شكري،1980، **بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (ت545)، د.ت، **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم 328هـ،1980، **شرح القصائد السبع الطوال**، تحقيق عبدالسلام صبار، دار المعارف، ط4.

البستاني، بطرس، 1981، **الشعر الجاهلي**، مطابع قصر العدل الجديدة.

بوبعيو، بوجمعة،2001، **جدلية القيم في الشعر الجاهلي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،1991، **البخلاء**، تحقيق أحمد العوامري وعلى الجارم، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجبوري، يحيى، 1994، **الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7.

الحارث بن حلزة (ت 580هـ)، 1973، **ديوان شعر الحارث**، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صار، بيروت.

الحاوي، إيليا،1970، **النابغة سياسته وفنه**، دار الثقافة بيروت، ط2.

الحاوي، سعد،1983، **الصورة الفنية في شعر امرئ القيس**، دار العلوم، المملكة العربية السعودية، ط1.

الحوفي، أحمد محمد، د.ت، **الحياة العربية في الشعر الجاهلي**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

الحوفي، أحمد محمد، د.ت، **الغزل في العصر الجاهلي**، دار القلم بيروت.

الحوفي، أحمد محمد، د.ت، **المرأة في الشعر الجاهلي**، دار النهضة، مصر للطباعة، القاهرة.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون (ت808)،1999، **المقدمة**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت.

دراوشة، صلاح أحمد،2001، القيم **الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال دواني المفضليات والأصمعيات**، مكتبة الفجر، الأردن، ط1.

الرباعي، عبدالقادر،1984، **الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى**، دار العلوم، المملكة العربية السعودية، ط1.

زهير بن أبي سلمي المزني (ت 13ف.هـ)، 1964، **شرح الديوان**، صنعة الإمام ثعلب، الدار القومية، القاهرة، 964.

الزوزني، أحمد بن أحمد الحسين،1994، **شرح المعلقات السبع**، دار الإيمان، دمشق، ط1.

أبوزيد، علي إبراهيم،1993، **طرفة بن العبد شاعر البحرين في الجاهلية**، دار الكتاب الجامعي، العين، ط1.

أبوسويلم، أنور،1990، **الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**، دار عمار، الأردن.

أبوسويلم، أنور، 1987، **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، ودار عمار الأردن، ط1.

أبوسويلم، أنور،1992، **قراءة في معلقة طرفة بن العبد**، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 3 ، 1992.

السيوفي، عصام، 1991، **المرأه في الأدب الجاهلي**، دار الفكر، بيروت، ط1.

الشيباني، ابي زكريا يحيى بن علي، (الخطيب التبريزي) ، **المعلقات العشر**، تحقيق عمرو فاروق الطباع، دار الأرقم بيروت.

صديق، حسين بشير، 1998، **المعلقات السبع**، الدار السودانية، للكتب، الخرطوم، ط1.

ضيف، شوقي، د.ت، **العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، ط9.

طبانه، بدوي،1984، **معلقات العرب**، دار المريخ، الرياض.

طرفة بن العبد: طرفة بن العبد بن سفيان البكري (ت 564م)،1975، **الديوان**، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

طليمان، غازي والأشقر، عارف،2001، **الأدب الجاهلي**، دار الفكر، دمشق.
عامر، فتحي أحمد، د.ت، **مرآة الشعر الجاهلي**، دار المعارف الاسكندرية.
ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت 328)، 1989، **العقد الفريد** ط1، دار إحياء التراث، بيروت.
عبدالرحمن، عفيف، **الشعر وأيام العرب**، شركة الفجر العربي، بيروت.
عبدالرحمن، نصرت،1982، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، مكتبة الأقصى، الأردن، ط2.
عبدالعزيز، عيسى حماد، 1989-1990، **صراع الإنسان ضد وحش الصحراء عند أصحاب المعلقات**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.
العتوم، علي حسين،2002. الشعر الجاهلي والحياة العربية،**مجلة البلقاء والعلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلد 9، عدد1.
العتوم، علي حسين،1980، **المعلقات العشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية.
عجلان، عباس،1985، **عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.
العشماوي، محمد زكي،1980، **النابغة الذبياني**، دار النهضة بيروت.
عمرو بن كلثوم التغلبي،1991، **الديوان**، جمعة اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت.
العمري، زينب،1963، **الصفات الحضارية في شعر الأعشى**، دار الملك عبدالعزيز، الرياض.
عنترة بن شداد العبسي ت(516م)، 1983، **الديوان**، تحقيق محمد سعيد مولي، ط2، المكتب الاسلامي، بيروت.
لبيد بن ربيعة العامري (ت41هـ)،1962، **شرح الديوان**، شرح وتحقيق احسان عباس، ط2، التراث العرب، الكويت.
المبيضين، ماهر، 2006، **مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي**، دار عمار، الأردن، ط2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مرتاض، عبدالملك، 1998، **السبع المعلقات**، مقاربة سينمائية انثربوبوجية لنصوصها، منشورات اتحاد الكتاب.

مكي، الظاهر،1985، **امرؤ القيس حياته وشعره**، دار المعارف، مصر.

ابن منظور، محمد بن مكرم،1994، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، 1980، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، دمشق، ط3.

النابغة الذبياني، زياد بن معاوية الذبياني، (ت604)، 1976، **الديوان**، تحقيق محمد الطاهر، الشركة التونسية للنشر والشركة الوطنية الجزائرية.

نبوي، عبدالعزيز، 1989، **شرح معلقتي طرفة بن العبد والحارث بن حلزة**، الصدر لخدمات الطباعة، مدينة نصر، ط1.

النص، إحسان،1985، **زهير بن أبي سلمى حياته وشعره**، دار الفكر، دمشق.

النص، إحسان،1963، **العصبية وأثرها في الشعر الأموي**، دار التهضة، دمشق.

النعيمي، 2008، أحمد اسماعيل، **الشعر وأيام العرب**، دار الضياء، الأردن.

يوسف، حسني عبدالجليل،1998، **عالم المرأة في الشعر الجاهلي**، الدار الثقافية، القاهرة، ط1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الاسم: صفاء حسين البيايضة

الكلية: الآداب

التخصص: اللغة العربية

السنة: 06-10-2010

الهاتف الارضي: 032360296

الهاتف النقال:07955011097

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com